الجمهورية الجزائرية الديمقراطيـــة الشعبية

وزارة التعليم العالـــــي والبحث العـــلمي

جامـعة الشهيد الشيخ العربـي التبسي –تبسة–

كـــليـــة الآداب واللـــــغـــات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الأنا والآخـــــــر في روايـــــة قلوبهم معنا وقنابلهم علينـــا لأحلام مستغانمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل. م. د) تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

وردة براهمي

دنيا عيسات

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد عروس

اللجنة العلمية

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
رشيد سلطاني	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي ـ تبسة	رئيسا
محمد عروس	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي ـ تبسة	مشرفا ومقررا
يوسف عطية	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي ـ تبسة	مناقشا

السنة الجامعية 2022 / 2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطيـــة الشعبية

وزارة التعليم العالـــــي والبحث العـــلمي

جامـعة الشهيد الشيخ العربـي التبـسي –تبسة–

كـــليـــة الآداب واللـــــغـــات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الأنا والآخـــــــر في روايـــــة قلوبهم معنا وقنابلهم علينـــا لأحلام مستغانمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل. م. د) تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

وردة براهمي

دنيا عيسات

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد عروس

اللجنة العلمية

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
رشيد سلطاني	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي ـ تبسة	رئيسا
محمد عروس	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي ـ تبسة	مشرفا ومقررا
يوسف عطية	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي ـ تبسة	مناقشا

السنة الجامعية 2022 / 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا والشكر الجزيل والحمد لله أولا وأخيرا على ما منحنا من نعم ووفقنا في مشوارنا الدراسي فتبارك اسم ربي لجلال قدره.

وبعد:

يسعدنا في مستهل هذا العمل أن نتقدم بخالص تشكراتنا بكل اعتراف إلى أستاذنا الفاضل الدكتور "محمد عروس" الذي ما زال يأخذ بأيدينا عتبة عتبة في معراجنا العلمي هذا، أرشدنا إلى ما فيه خير، وقوم ما كان معوجا، صوب أخطاءنا وذلل العقبات أمامنا، لك منا أطيب الرجاء بطول العمر ودوام الإحسان راجين من المولى جل وعلا أن يجعل ما غنمناه منك صدقة جارية تضاف إلى صحائف حسناتك.

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى، الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى

مهداة إلى الوالدين الكريمين.

إلى الراحل عنا والباقي في قلبي إلى من جسده تحت التراب وروحه في قلب ابنته، أبي الغالي السند بعد الله والقدوة رحمك الله يا حبيبي.

إلى من رضاها غايتي وطموحي إلى من أعطتني الكثير ولم تنتظر الشكر...

والدتي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى عائلتي التي كانت لي السند والظهير، الصغير منهم والكبير...

إلى رفيقات العمر والمشوار اللواتي قاسمنني لحظاته رعاهم الله ووفقهم:

شيماء، خلود، روميسة، وردة.

إلى كل من كان له أثر في حياتي، إلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي.

مقدمة

تعد ثنائية الأنا والآخر إحدى أهم الموضوعات التي استحوذت على اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع والنقاد، وكانت مدارا للاشتغال عند الأدباء؛ حيث شغلت حيزا كبيرا من الفكر قديما وحديثا، والحديث عن الجدل القائم بين الأنا والآخر وصراعهما استدعى من جديد طرح هذا الموضوع في وقتنا الراهن.

وقد سلطنا الضوء في بحثنا هذا على إحدى أهم قضايا الدراسات المقارنة وهي صورة الأنا والآخر في الرواية العربية عامة، والجزائرية على وجه الخصوص؛ كونها ذات أهمية بارزة في النصوص الأدبية والنقدية باعتبار أن الكشف عن صورة الأنا لا يتأتى إلا من خلال الكشف عن صورة الآخر، وهي علاقة من شأنها أن تنهض على افتراض الغيرية التي يتألف منها الوجود الإنساني والمتضمن دائما لقطبين مختلفين ونظرا لفتي الإنتاج الروائي المعاصر لتصير الأنا والآخر فسنجعله محطة للبحث والدراسة في رسالتنا الموسومة بـ: الأنا والآخر في رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" لأحلام مستغانمي.

نعمل من خلال هذا البحث على إثارة إشكالية يمكن صياغتها في: كيف تتشكل ثنائية الأنا والآخر في رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا"؟ وما هي أبعاد وخلفيات هذا التشكل؟ وهذا ما سنجسده في التساؤلات الفرعية الآتية:

ما مفهوم الأنا والآخر؟ كيف تجسدت صورة الأنا والآخر في رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" لأحلام مستغانمي؟

وقد كان لاختيار موضوعنا هذا أسباب عديدة منها ما هو ذاتي ومتمثل في شغفنا بسحر الروايات والرغبة في الاطلاع على هذا النوع من النصوص الروائية والولوج إلى عوالمها والرغبة في التعاطي مع الأعمال الإبداعية الجزائرية.

ومنها ما هو موضوعي والمتمثل في:

– المكانة الهامة التي أخذتها الدراسات في بيان العلاقات الإنسانية والحضارية بين الشعوب.

– إن هذا النوع من النصوص الروائية بحاجة ماسة إلى التحليل والبحث والتقصي من خلال تجسيد الأنا ومعرفة خبايا الآخر.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مفهومي الأنا والآخر ومحاولة الإلمام والإحاطة به، ومعرفة العلاقة بين الأنا والآخر، وكيف تشكلت هذه العلاقة.

اقتضت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الوصفي مع آليات التحليل والتركيب؛ كونه يتلاءم وطبيعة الموضوع المدروس انطلاقا من جمع المعلومات وتنسيقها والبحث في العلاقات بينها.

أما عن خطة البحث فقد تضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة، خصصت المقدمة لطرح الإشكالية والعناصر المنهجية للمقدمة. جاء الفصل الأول "النظري" موسوما بـ: محددات اصطلاحية مفاهيم نظرية للأنا والآخر، تناولنا فيه المفاهيم النظرية حول الأنا، الآخر، من المنظور الاجتماعي والنفسي الفلسفي ومن منظور الأدباء والنقاد، بالإضافة إلى إبراز أهم مقومات الأنا والآخر، وختمنا هذا الفصل بذكر العلاقة بين الأنا والآخر التي تجلت في علاقة صراع وصدام حينا تجاذب وانبهار حينا آخر. أما الفصل الثاني "التطبيقي" المعنون بـ: تشكلات الأنا والآخر في رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" تناولنا فيه أولا: الأنا والآخر في التشكيل العنواني، ثانيا: حضور الأنا والتشكيل السردي، ثالثا: حضور الآخر والتشكيل السردي، رابعا: الأنا الذاتية وتشكل الهوية، وكانت خاتمة البحث حوصلة لما جاء في طياته وما توصلنا إليه من نتائج خلال هذه الدراسة.

وقد صادفتنا بعض الصعوبات ولكن بفضل الله وتوفيقه تمكنا من تجاوزها، فأصبحت في طي النسيان ومن هذه الصعوبات نجد:

– تشعب الموضوع مما صَعُب علينا ضبط خطة محكمة تتماشى مع الدراسة التي قمنا بها.

– صعوبة تحصيل بعض المراجع.

ومن أهم الدراسات ذات الصلة بالموضوع التي كان لها السبق في تناول بعض جوانب بحثنا نجد: أطروحة دكتوراه معنونة بـ: صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى 2010، ورسالة ماجستير بعنوان: صورة الآخر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر.

من أبرز المراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة:

– التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر لـ "أحمد ياسين سليماني".

– دليل الناقد الأدبي لـ "ميجان الرويلي، وسعد البازعي".

– سرد الآخر–الأنا والآخر عبر اللغة السردية لـ "صلاح صالح".

– صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي لـ "سعد فهد الذويخ".

وفي الأخير الحمد والشكر لله عز وجل الذي أعاننا على إنجاز هذا العمل، كما يرجع الفضل في اكتمال هذا البحث إلى أستاذنا المشرف الدكتور "محمد عروس" لحسن توجيهه وصبره ورحابة صدره فله جزيل الشكر وجميل العرفان.

كما نتقدم بفائق عبارات الشكر والتقدير لأساتذة اللجنة المناقشة كل باسمه وصفته، ولهم منا كل التبجيل على كل نصيحة وعلى كل ملاحظاتهم من أجل أن يرقى هذا البحث لما يجب أن يكون عليه.

وكل توفيق من الله وحده

الفصل الأول:

محددات اصطلاحية ومفاهيم نظرية ("الأنا"-الآخر)

أولا: الأنا؛ بحث في المصطلح والمفهوم

1-الأنا في اللغة:

وردت كلمة "الأنا" في لسان العرب لابن منظور بمعنى: «اسمٌ مكنيٌّ، وَهُوَ للمتكَلِّم وحْدَه وَإِنَّمَا يُبْنى عَلَى الْفَتْحِ فَرْقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَن الَّتِي هِيَ حرفٌ نَاصِبٌ لِلْفِعْلِ، والأَلفُ الأَخيرةُ إِنَّمَا هِيَ لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ فِي الْوَقْفِ.»[1]

وقد وردت في معجم المحيط «ضَميرُ رَفْعٍ مُنْفَصِلٍ لِلْمُتَكَلِّمِ مُذَكَّرًا وَمُؤَنَّثًا مُثْنَاه وَجَمْعُهُ نَحْنُ.»[2]

وجاءت في المعجم الوسيط بمعنى «أنا: ضَميرُ رَفْعٍ مُنْفَصِلٍ لِلْمُتَكَلِّمِ أَوْ المُتَكَلِّمَةِ.»[3]

والملاحظ من المعنى اللغوي أن كل هذه المعاجم تناولت المفهوم نفسه لمصطلح "الأنا" فهو يتمحور حول الذات الشخصية سواء كان مذكرا أو مؤنثا.

وقد وردت كلمة "أنا" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[4]

2-الأنا في علم الاجتماع:

تناول علماء الاجتماع مفهوم "الأنا" وفي ذلك يقول عباس يوسف الحداد: «في علم الاجتماع يرتبط مفهوم "الأنا" بالهوية الفردية أو تصل الشخص لذاته وخصائصها المعرفية ومكوناتها الفكرية والاجتماعية من قيم وتقاليد، موروثة أو مكتسبة كتعبير موسع للأنا عن الهوية الجمعية»[5].

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 2000، المجلد الأول، مادة (أ. ن. ا)، ص182.

[2] المعلم بطرس البوستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، 1989، ص18.

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، (د، ط)، تركيا، إسطنبول، (د، س)، ص28.

[4] سورة المائدة، الآية 28.

[5] عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، سوريا، اللاذيقية، 2009، ص189.

يتضح لنا من قول عباس يوسف الحداد أن "الأنا" في الدرس الاجتماعي أخذت طريقا مغايرا عن الدرس الفلسفي أو عند علماء النفس، ارتبط مفهومها عند علماء الاجتماع بالهوية الفردية للشخص وتصور هذا الأخير للذات التي تسكنه وما تملك من خصائص معرفية، دون نسيان مكوناتها الفكرية الاجتماعية، وذلك من خلال التقاليد والقيم الموروثة والمكتسبة من طرف هذه الذات.

ونجد ابن خلدون في هذا الصدد يقول: «الاجتماع الإنساني ضرري ويعبر العلماء عن هذا بقولهم مدني بالطبع»[1]، ويعني هذا أن الفرد بطبعه اجتماعي، فمن الضروري أن يعيش داخل المجتمع، وأن يتعايش مع من حوله، وألا يكون بمفرده؛ وذلك لأنه لا يستطيع أن يكون بمفرده ولا أن يتحمل دون غيره.

3-الأنا في علم النفس:

لقد أولى علماء النفس الاهتمام بـ "الأنا"، فهي محور دراساتهم فانكبّ هؤلاء العلماء على دراسة "الأنا" بكل تجلياتها، فمن خلال اهتمامهم بموضوع "الأنا" لا نجد الآخر في علم النفس فقد ركزوا في البداية على الجانب الشعوري من الشخصية؛ كونه الأساس لفهم سلوك الإنسان فظهرت مدرسة التحليل النفسي مع "سيغموند فرويد" الذي يرى أن «السلوك له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونه عبر تاريخ الشخصية خاصة من خلال علاقته بوالديه»[2]، وفي تقسيمه للجهاز النفسي نجد "الهو" و"الأنا" و"الأنا" الأعلى"، فجعل "الأنا" تتوسط "الهو" و"الأنا" الأعلى" لتشكل حلقة اتصال بين العالم الخارجي الحاجات الغريزية.

ومن خلال تجليات مفهوم "الأنا" عند فرويد نستخلص أن "الأنا" هي وليدة الصراع القائم بين سلطة العالمين الخارجي والداخلي في وقت احتدام الصراع بين قوى الشخصية الثلاث

[1] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الخضرمي: المقدمة، دار الجيل، (د، ط)، لبنان، (د، س)، الجزء الأول، ص32.

[2] مأمون صالح: الشخصية (بناؤها، أنماطها، اضطراباتها)، دار أسامة، ط1، الأردن، عمان، 2008، ص21.

ودوافعها الغريزية وبين الظروف التي تثيرها في العالم الخارجي «ظهرت "الأنا" لتلبية حاجات النفس البشرية للتوازن النفسي والاجتماعي الذي يستدعيه مبدأ الواقع والعقل.»[1]

4-الأنا في الفلسفة:

لقد اختلفت الآراء وتعددت حول مفهوم "الأنا" وأثارت جدلا كبيرا نظرا لتشعب الأفكار وتنوع المذاهب، وللأنا مفاهيم لم تكن وليدة الجدالات الفلسفية الراهنة، بل تمتد زمنيا إلى الحقب الأولى للفكر الفلسفي الإنساني المدون والمؤرخ له، وذلك لأن مفهوم "الأنا" ليس موروثا لدى الإنسان بل يتشكل من خلال التفاعل بينه وبين البيئة التي يعيش فيها، وبذلك تنوعت تعريفات الفلاسفة للأنا، وقد اهتمت الفلسفة العربية بهذا المصطلح «فبدت كأنها تمفصل أنطولوجي ابستيمولوجي معا»[2]، وهذه المحاولة لها بين الوجود والمعرفي تعود إلى طبيعة الثقافة العربية «فـ "الأنا" هي مجموعة القيم الأصلية والمبادئ العليا التي جاء بها الدين الإسلامي إضافة إلى التجربة التاريخية التي جاء بها المسلمون»[3]، نلاحظ أن استخدام مصطلح "الأنا" المقصود به هو تلك القيم المعيارية المتعالية على الزمان والمكان.

أما في العصر الحديث وجد مصطلح "الأنا" اهتماما كبيرا في مجال الفلسفة، فقد ساهمت بشكل كبير في دراسة ومناقشة هذا المصطلح انطلاقا من فكرتها المتمثلة في أن السؤال عن "الأنا" هو السؤال عن الوجود، تعتبر "الأنا" بالمعنى التقريبي "النفس"، إذ نجد ذلك عند كثير من الفلاسفة وعلى رأسهم الفيلسوف "رونيه ديكارت" الذي ربط بين "الأنا" فكرا و"الأنا" وجودا بقوله: «أنا أفكر إذا أنا موجود»[4]، فديكارت يرى أنّ كوننا موجودين يعني هذا أننا نفكر في ما يدور حولنا، وهذا التفكير يكون مبني على أساس الشك؛ لأنه عندما تكون "الأنا" يكون بالتأكيد التفكير، فقد ربط ديكارت الفكر بالوجود واستطاع أن يظهر "الأنا" بفكرة الوجود.

---

[1] سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، دار الزمان، ط1، عمان، 2012، ص15، 16.

[2] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية، ط1، مصر، 1984، جزء1، ص114، 115.

[3] محمد عابد الجابري: (الغرب والإسلام)، مجلة العربي، الكويت، العدد 503، أكتوبر 2000، ص8، 9.

[4] أحمد ياسين سليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطابعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، دمشق، (د، ت)، ص85.

هذا وقد حمل مصطلح "الأنا" في الفلسفة الحديثة عدة معان تتمثل فيما يلي:

أ-المعنى النفسي الأخلاقي: تشير كلمة "أنا" في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي، فهي إذا تطلق على وجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية.

ب-المعنى الوجودي: تدل كلمة "أنا" على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأغراض التي يتألف منها الشعور الواقعي سواء كانت هذه الأغراض موجودة معا أو متعاقبة، فهو إذا مفارق للأحاسيس والعواطف والأفكار، لا يتبدل بتبديلها، ولا يتغير بتغييرها، فـ "الأنا" إذا جوهر قائم بنفسه وهو صورة لا موضوع.[1]

ج-المعنى المنطقي: تدل كلمة "أنا" على «المدرك من حيث أن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما التركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصورات في الذهن و"الأنا" المتعالي والحقيقة الثابتة التي تعد أساس الأحوال والمتغيرات النفسية»[2]، نستنتج من خلال هذا القول: إن "الأنا" هو الجوهر الثابت دائما.

كما نجد في موسوعة لالاند الفلسفية مفهوم "الأنا" على أنه «نزوع إلى رد كل الأشياء إلى الذات، وأيضا حب الذات حصري أو مفرط سمة ذلك الذي سيلحق مصلحة الغير بمصلحة الذاتية، ويحكم هذه الرواية على كل الأشياء»[3] ويقول أيضا: «للأنا خاصيتان فمن جهة هي ذاتها غير كاملة من حيث أنها تجعل من نفسها مركزا لكل شيء، ومن جهة أخرى مضايقة للآخرين من حيث أنها تريد استبعادهم ذلك لأنها عدو وتريد أن تكون مسيطرة على الكل»[4] خلاصة لما سبق يمكن القول: إن "الأنا" تتعدد دلالتها ومفاهيمها عند الفلاسفة والمفكرين كل يعرفها بحسب نظريته وخلفياته التي ينطلق منها.

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1982، ص140.

[2] المرجع نفسه، جزء 1، ص 140.

[3] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001، ص329.

[4] المرجع نفسه، ص331.

5-الأنا من منظور الأدباء والنقاد:

تعتبر دراسة "الأنا" من أهم الدراسات التي شغلت عالم الفكر ومثلت محور ومدار واهتمام أكثر الدارسين والباحثين، وموضوع "الأنا" أخذ حيزا كبيرا في ميدان البحث العلمي بصفة عامة، وفي إطار تطور العلوم الإنسانية بشكل خاص، فقد تناوله العديد من الأدباء والنقاد باعتباره مصطلحا يصعب تحديد مفهومه لانفتاحه على دلالات متعددة، ولكون "الأنا" شائع في الحياة اليومية وكذا العملية، فهو يعتبر من الضمائر الموجودة داخل النصوص الأدبية ومن تعريفات "الأنا" أدبيا ما يلي:

تعني كلمة "أنا" في المجال الأدبي «أنه لا يوصف بأنه الضمير الأدبي الذي يبرز محققا الوعي الذاتي، يتموضع في العمل الأدبي بضمير المتكلم والمخاطب والغائب، وإنما يوصف بكونه مجموعة الضمائر التي تنشد الوحدة»[1]، فهو يتكون من طريق ينتمي إليه ويرتبط به مع مجموعة من الضمائر التي تعطي له معنى.

"الأنا" عند ياسين سليماني هي «ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته، وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره، وإن كان منتجا له، وناتجا عن علاقته به»[2]، وفي هذا التعريف البسيط البعيد عن الدلالات المعقدة والمتداخلة نلاحظ أن "الأنا" هي المكتفية بذاتها عن غيرها.

"الأنا" هي «تعبير يعني الذات الواعية، وقد يستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السمة أو ذلك المكون من مكونات الشخصية الذي يسيطر بأكثر الطرق مباشرة وفورية على الفكر والسلوك، فهو (الأنا) التي تشعر وتفكر وتميز الشخص عن الذوات الشخصية الأخرى»[3].

---

[1] رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط1، عمان، 2015، ص23.

[2] أحمد ياسين سليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، ص404.

[3] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية للعمالية للطباعة والنشر، (د، ط)، تونس، (د، س)، ص47.

وتعني "الأنا" أيضا «غرور يعتري الإنسان الأديب والفنان، وحب النفس يطغى على الإنسان في دائرة نشاطه، إعجاب بما يقوم به من أعمال»[1]، فهي تعني حب الإنسان لذاته وإعجابه بأعماله.

«هي شعور يبرز الذات بشكل طاغ بحيث ينشط الفنان ضمن دائرة لا تتعدى حدوده الشخصية»[2]؛ أي إنها تعبر عن الذات تحصر الفنان في بوتقته الخاصة وحدوده التي يرسمها بنفسه.

فـ "الأنا" «علامة مضمرة في توازنها ينبني أساس "الأنا" الأدبية داخل النص الأدبي /.../، وتتجلى من خلال ثنائية الحضور والغياب في تعاقب يضمن تأسيس وحدة ضمائرية تربط العمل ربطا يتسق وبناءه الأدبي»[3]، والملاحظ هنا أن "الأنا" هي ضمير يمثل ذات الفرد الإنسان في سياق ما، أو في نص أدبي عن طريق اتصاله بضمائر أخرى، والتي تبين المعنى المنشود، فقد تبدو واضحة بشكل جلي في النص الأدبي، وقد تكون غائبة مستترة تُفْهَمُ من خلال قرينة لفظية موجودة داخل هذا النص.

[1] محمد التوينجي: معجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1999، ج1، ص133.

[2] محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، (د، ط)، (د، ب)، 2003، ص43.

[3] رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، ص24.

ثانيا: الآخر بحث في المصطلح والمفهوم

1-الآخر في اللغة:

جاءت لفظة "الآخر" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾[1]

وقد وردت كلمة "الآخر" في لسان العرب لابن منظور بمعنى: «غَير كَقَوْلِكَ رجلٌ آخَرُ وَثَوْبٌ آخَرُ، وأَصله أَفْعَلُ مِنَ التَّأَخُّر، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ هَمْزَتَانِ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ استُثْقِلتا فأُبدلت الثَّانِيَةُ أَلفاً لِسُكُونِهَا وَانْفِتَاحِ الأُولى قَبْلَهَا.»[2]

وجاءت في معجم الوسيط «أحد الشَّيْئَيْنِ ويكونان من جنس وَاحِد.»[3]

جاء في المنجد «ج آخَرُونَ، م أُخْرَى وأَخْرَاتٌ، جَمْعٌ أُخَرَ وَأُخْرَيَاتٍ، بِمَعْنَى غَيْر، وَلَكِنَّ مَدْلولَهُ خاصٌّ بِجِنْسِ مَا تُقَدِّمُهُ فَلَوْ قُلْتْ: جَاءَنِي رَجُلٍ وَآخَرَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ الآخَرُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ مَا قِلَتِهِ.»[4]

2-الآخر في الاصطلاح:

يعتبر "الآخر" من المصطلحات التي اهتم بها الكتّاب والدارسون، فهذا المصطلح لم يتضح جليا إلا مع تطور المعارف الحديثة وتعدد المفاهيم، فـ "الآخر" في أبسط صوره ومفاهيمه هو مثيل أو نقيض "للأنا".

إن «الآخر L' Autre ليس هو الشخص نفسه؛ أي هو شخص آخر غير الذات وهو الغير Autrui والخارج Ailleurs والأجنبي والمختلف وما ليس أنا أو ذاتي أو نحن أو الشبيه أو المماثل أو نفسي، وسواء أكان الآخر هو الأجنبي كما يرى ميدام Medam أم كان الأجنبي

---

[1] سورة المائدة، الآية 107.

[2] ابن منظور: مرجع سابق، المجلد الأول، مادة (آ. خ. ر)، ص47.

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون: مرجع سابق، مادة (آ. خ. ر)، ص08.

[4] أنطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط1، لبنان، بيروت، 2000، ص17.

هو الآخر على حد تعبير روبير اسكاربيت R. Escarpit، فإن هذا الأجنبي أو هذا الآخر هو كما احتجت أن يكون.»[1]

ويعرفه تيزفيتان تودوروف «"الأنا" آخر لكن الآخرين أيضا الذوات شأنهم في ذلك لا تفصلهم ولا تميزهم بشكل حقيقي غير نفسي وغير وجهة نظري /.../، وبوسعي أن أتصور هؤلاء الآخرين كتجريد كحالة من حالات التكوين النفسي لأي فرد بوصفهم الآخر /.../، الآخر بالقياس إلى نفسي وبالقياس إليّ.»[2]

يرى جاك لاكان G. Lacan «أن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر فالطفل حين يرى صورا في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذه بنوع من (الأنا)، لكنه تدريجيا يدرك أن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة للذات، ومن هنا يصبح معا فردا مدركا ومادة يدركها.»[3] وهذا يعني أن الآخر يتشكل انطلاقا من مستوى الوعي للإنسان منذ الوهلة التي يبدأ بالتعرف على ذاته، ليكون بالتالي الآخر العامل الفعال في تكوين هذه الذات، فالآخر ما هو إلا صورة للأنا.

ويذهب بول ريكور Paul Ricourt إلى «أن الحياة السعيدة لا تكون إلا مع الآخر ومن أجله في مؤسسات عادلة.»[4]

من حيث الدراسات الأدبية نجد "مخائيل باختين Mikhail Bakhtine الذي ناقش مصطلح الآخر والأفكار المتعلقة به، فيقول: «إننا نقيم أنفسنا من منظور الآخرين /.../ إننا نتفحص تأملاتنا بحياتنا الخاصة ونتفهمها عبر الأشخاص الآخرين.»[5]

---

[1] دانييل، وهنري باجو، وجان مارك مورا: الصورة...الأنا، الآخر، تر: عبد النبي ذاكر، مطبعة بني أزناسن سلا، (د، ط)، المغرب، 2014، ص85.

[2] تيزفيتان تودوروف: مسألة الآخر فتح أمريكان، تر: بشير السباعي، دار سينا للنشر، (د، ط)، 1982، ص9.

[3] محمد الخباز: صورة الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، بيروت، 2009، ص22.

[4] بول ريكور: الذات عينها كأخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، لبنان، بيروت، 2005، ص346.

[5] حسين عبيد الشهري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، بيروت، 2008، ص29.

والملاحظ هنا أن الآخر هو مرآة عاكسة للأنا، فمن خلال الآخرين نرى أنفسنا، فالآخر عنصر مهم في الحياة فهو ضروري لتكتمل، وهذا فيما يتعلق بالمعطى المفهومي في الدراسات الأدبية، أما فيما يتصل بعلم النفس فإننا نجد الفيلسوف "جون بول سارتر Jeaan Poul Sarter" مثلا يقدم تصوره إزاء الآخر فيذهب إلى أن «الآخر هو الأصل مَا لا أُكَوِنه (الأنا) وهو الموجود كذات (النظرة) في الوقت نفسه، لكن ينبغي أن وجدي للغير ليس غير صورة مني هاجرت إلى شعور أجنبي، الحق أنه موجود واقعي تماما»[1]؛ أي تلك المميزات أو الصفات التي يكونها فرد أو جماعة معينة عن ذلك الآخر.

يرى صلاح صالح أن الآخر هو «الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه /.../ وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض»[2]، بمعنى أن الآخر هو ذات ثانية للأنا، فصورة الآخر تختلف من فرد إلى آخر.

والملاحظ من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي للآخر أنه جاء بمعنى الغير المخالف للأنا، لكن نجد أن المفكرين كل على حدة غاصوا في مفهومه، حيث حددوا الآخر تبعا لموقع الناظر إليه.

3-الآخر من منظور الأدباء والنقاد:

اشتغل كثير من الأدباء والنقاد حول تحديد مفهوم لمصطلح الآخر فتعددت التعريفات وتشعبت الرؤى الساعية إلى تحديد ماهية هذا الأخير؛ إذ يرى سعد فهد الذويخ أنه «قد يكون قريبا أو بعيدا، كما أنه قد يكون فردا، أو جماعة من الجماعات، أو شعبا من الشعوب بحيث تنتفي علاقة القرب المكاني أو البعد في تحديده، أو علاقات الصداقة أو العداء فقد يكون الآخر قريبا، كما يمكن أن يكون بعيدا، وقد يكون صديقا أو عدوا»[3]؛ أي إن هذا ينفي الموقع

---

[1] أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا والآخر في الشعر العربي المعاصر، ص97.

[2] صلاح صالح: سرد الآخر-الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، الدار البيضاء، 2003، ص10.

[3] سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص10.

الجغرافي لتحديد الآخر، إذ يمكن أن يكون صديقا أو معاديا كما يمكن أن يكون فردا أو جماعة أو شعبا.

كما يعرفه نادر كاظم بقوله: «أما الآخر فهو الكائن المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي ومتحرك؛ ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة.»[1]

نستنتج أن الآخر هو ما يناقض "الأنا"، فهو غير مستقر وغير ثابت ولا يتحدد إلا بوجود الذات.

على حسب قول ميجان الرويلي أن «الآخر في أبسط صورة هو مثيل أو نقيض (الذات) أو (الأنا)؛ وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي)، أو ما بعد الاستعماري، وكل ما يستثمر أطروحتها مثل النقد النسوي والدراسات الثقافية والاستشراق وقد شاع المصطلح في الفلسفة الغربية المعاصرة خاصة عند جان بول سارتر، ميشيل فوكو وجاك لاكان، وإيمانويل ليفيناس، وغيرهم.»[2]

من خلال هذا التعريف نفهم أن الآخر هو كل ما يخالف الذات ويناقضها.

ونستنتج من المفاهيم السابقة التي ذكرناها للآخر أن التعاريف تعددت واختلف من ناقد إلى آخر إلا أنهم يجتمعون في نقطة واحدة وهي أن الآخر هو الغير الذي يخالف "الأنا" ويناقضها.

---

[1] نادر كاظم: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، بيروت، 2004، ص20.

[2] ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، الدار البيضاء، 2002، ص21.

ثالثا: مقومات الأنا والآخر

1-الهوية:

إن الحديث عن إشكالية الذات والآخر يشوبها كثير من الالتباس والضبابية، مما يستدعي طرح مسألة الهوية باعتبارها مفهوما غامضا ومتشعبَ المداخل، تتفاعل داخله حقول معرفية عدة، حيث ظل مفهومها عصيا عن الضبط والتحديد كونها تتسع لتشمل خصائص فردية وجماعية لا حصر لها «يمكن للمرء أن ينظر للهوية على أنها مجموع سِمَاتِهِ المميزة والدَّائمة التي تميزه بوصفه مخلوقا لا تُخْطِئُهُ العين والهوية، هي ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين...إلا أن الهوية هي أيضا ما أصف به نفسي عندما أتأمل ذاتي بصورة مكثفة وأشكل صورة ذاتي»[1]، والملاحظ من هذا المفهوم أن الهوية هي مجموعة السمات الظاهرة على جسد الإنسان التي تميزه عن غيره، وبذلك فالهوية تمكننا من معرفة الشخص استنادا إلى مميزاته وخصائصه الثابتة أو كما يعرف ماهيته وجوهره، فالهوية باعتبارها أمرا موضوعيا وذاتيا معا هي «وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة، في إطار الانتماء الإنساني العام، لذلك فإن الهوية ليست فاعلا نهائيا، بل إنما حضور حَي متجدد مفتوح على التعدد والاختلاف ومتفاعل مع الزمان والمكان»[2]، إذا الهوية هي فهم وقبول النفس والمجتمع من خلال الحياة.

2-الغيرية:

أ-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «"الغير" غَيْرٌ مِنْ حُرُوفِ الْمَعَانِي، تَكُونُ نَعْتًا وَتَكُونُ بِمَعْنَى لَا/.../ وَقِيلَ :غَيْرٌ بِمَعْنَى سِوَى، وَالْجَمْعُ أَغيار، وَهِيَ كَلِمَةٌ يُوصَفُ بِهَا وَيُسْتَثْنَى، فإن

[1] بيتر كوزن: البحث عن الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، (د، ط)، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص93.

[2] محفوظ محمد: الإسلام والغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، (د، ط)، الدار البيضاء، 1998، ص150.

وَصَفْتَ بِهَا أَتبعتها إِعراب مَا قَبْلَهَا»[1]، نستنتج من هذا التعريف أن الغير ليس الآخر نفسه وكلاهما لديه معنى مختلف وخاص به.

ب-اصطلاحا:

يعرفها مراد وهبة «الغير /Other-Outre/ بأنه أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد بها ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز»، ويمكن إعطاء مفهوم آخر وجيز للغير أو الغيرية باختصار فنقول: «إن الغير مصطلح فلسفي نفسي وهو يمثل أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد بها ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز منه ويقابل الإنسان، ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس، ومن ثم قول الفيلسوف والعالم النفساني أندريه جيد: إن أفضل وسيلة لمعرفة النفس هي أن تسعى لمعرفة الغير»[2]؛ أي إن الغير هو الوسيلة الوحيدة والأهم لمعرفة الذات.

ويذهب جميل صليبا إلى القول بأن «الغيرية في الفكر الأوروبي مقولة أساسية مثل مقولات الهوية، ومما له دلالة في هذا الصدد؛ إن كلمة (Altérite) أي الغير ذات علاقة اشتقاقية بالفعل Alterit والاسم (Altération) وتعنيان تغيير الشيء وتحويله للأسوأ (تعكر فساد، استحالة) كما ترتبط اشتقاقا بكلمة (Alternance) التي تفيد التعاقب والتداول، ومعنى ذلك أن مفهوم الغيرية في الفكر الأوروبي ينطوي على السلب والنفي /.../ فيما يؤسس مفهوم الغيرية في الفكر الأوروبي مقولة تؤسسها فكرة السلب أو النفي، فـ "الأنا" لا يفهم إلا بوصفه سلبا أو نفيا للغير»[3]، ومن خلال المفاهيم السابقة نجد أن الغير هو المختلف، الأرقى، المتميز والمستثنى.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، جزء 10، ص154.

[2] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د، ط)، القاهرة، 1983، ص449، 450.

[3] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ص131.

3-الدين:

يعتبر (الدين) أقوى أسس الهوية الثقافية التي تشكل معنى "الأنا" الجمعي لأي أمة ونعني بها الإيمان بأفكار ومعتقدات وتنظيمات وتشريعات دينية، ويعد «الدين من أهم العناصر التي تشكل ثقافة المجتمعات، وتوحد قيم مفاهيم الأفراد فيها وأنماط تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وآرائهم بخصوص الطبيعة والإنسان والعلاقة بينهم»[1]، وهذا يعني أن المراد من الدين مخاطبة عقول الناس وقلوبهم وهنا تكمن أهميته.

فـ "الأنا" يمثله الدين الإسلامي الذي هو أصالة وهوية الأمة الإسلامية، فهو تصور عن الإنسان والحياة والكون وفق أسس عقائدية؛ أي إنه يطبع ويصبغ ثقافتها بطابعه ويصوغ نظرتها للكون، للذات، وللآخر، فقد «أوردت دائرة المعارف الإسلامية في تعريفها للإسلام قولها: إنه الاسم الذي يطلقه المسلمون في كل قطر على عقيدتهم، ومعنى هذه الكلمة الخضوع والاستسلام لله»[2]؛ إذا فالدين الإسلامي جاء لينير طريق الإنسان بل هداية الإنسانية جمعاء، «من مميزاتها أنها اتسمت بالوسطية فلم تكن تميل إلى المادية كما كانت اليهودية، ولا تميل إلى الروحانية كما كانت المسيحية، وإنما كانت مادية روحية معا، وبذلك كانت ملبية لكل الحاجات قادرة على الاستجابة لكل المتغيرات»[3]، وهذا يعني أن من سمات الديانة الإسلامية الحرية، المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات لتحقيق عدالة التعايش بين المسلمين وغيرهم (حرية اختيار المعتقد).

يعد الدين ركيزة كل أمة، كونه يولّد الشعور بالانتماء ويثير في النفوس بعض من العواطف الخاصة وعلى هذا الأساس فإن «مفهوم نحن يعني في الفكر المعاصر حميمة

---

[1] محمد عبد الرؤوف عطية: تعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2009، ص44.

[2] موسى معيرش: جدل الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، دار نهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، قسنطينة، 2010، ص36.

[3] عبد الغني عبود: العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1980، ص285.

الانتماء الحضاري، وربما الروحي أيضا إلى دين من الأديان أو إلى جيل من الناس...أو إلى طائفة من الطوائف، وأكثرها في زماننا هذا.»[1]

فالآخر في نظيره اليهودية والتي تعد ديانة ونظاما في الحياة، ومن منطلقاتها الإيمان بالله الواحد والإقرار بالأنبياء والرسل، وهي كغيرها من الديانات لها أسس عقائدية، جاءت لهداية بني إسرائيل، تلك عباداتهم بإلههم تفرض حمياته وجعلهم شعبا مختارا، ومن اعتقاداتهم الثقافية أن لكل شعب إلها خاصا به، «تتردد اليهودية في الإيمان بالله الواحد، ولذا نجدها أحيانا ترى يهود ليس الإله الوحيد في الكون، وإنما هناك آلهة أخرى لشعوب أخرى، ولهذا نجد أن الإله اليهودي يضمن مواثيق أتباعه كما يطلب من الآلهة الأخرى أن تكون ضامنة لمواثيق أتباعها»[2]، فقد استطاع اليهودي أن يجعل من دينه خدمة لغرضه الخاص، كما يتبادر في أذهانهم أنهم شعب الله المختار يفعلون ما يرغبون ويبيحون ما يريدون كله باسم الدين، فهي تعتمد على النص التوراتي (التوراة) الذي يعتمد التفسير الإنساني للوحي كمصدر للمعرفة الدينية في اليهودية، فتعترف هذه الأخيرة بتعدد الآلهة، كما تدعي بتأثيرها الشامل على الإسلام.

فنجد إمام المسجد مثلا أسوة وقدوة في الثقافة الإسلامية، فيعد هذا الإمام المثل الذي يقتدي به المجتمع، لابد أن تتوفر فيه الشروط التالية: أولها الصلاة، حفظه لكتاب الله تعالى فالدين الإسلامي يعتمد على كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم) الراسخ والثابت الذي لا يتغير ولا يزول أبدا، فهو المصدر الوحيد والأول والأخير للمعرفة الدينية في الإسلام.

4-المجتمع (العادات والتقاليد):

يتسنى لنا البدء من هذه المقولة لمعرفة ثقافة وعادات وتقاليد كل مجتمع «قيم ومثل المجتمعات تختلف من ثقافة لأخرى، ولا يمكن أن يوجد شيء بوصفه مجتمعا أو ثقافة مثالية وهذا القول معناه أنه لا توجد قيم صحيحة بشكل عام أو عالمي، وأن كل الثقافات بالتساوي صحيحة، هذا التأكيد بشدة على الاختلاف الثقافي يؤدي إلى فهم الآخر بوصفه خطر على

[1] عبد الملك مرتاض: الإسلام والقضايا المعاصرة، دار هومة للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2009، ص83.

[2] موسى معيرش: جدل الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، ص19.

الأنا»[1]؛ أي أن للأنا ثقافة مجتمعة مختلفة تماما على الآخر الذي هو بدوره يمتلك عادات وتقاليد خاصة به.

الثقافة المجتمعية تحوي «مجموعة التقاليد والتجارب والممارسات والمعارف المتنوعة التي اختبرها الشعب في هذا البلد أو ذاك في مراحل عدة من التاريخ، فضلا عما يعبر عن هذه التجارب والممارسات والمعارف في أشكاله التعبيرية من أدب وفن»[2]، بمعنى أن الممارسات اليومية للإنسان هي التي تمثل انتماءه لمجتمع معين.

ويمكن لنا أن نعد التقاليد والعادات والقيم «صفات الموضوعات والظواهر المادية للوعي الاجتماعي، التي تميز أهميتها للمجتمع ولطبقة ما، ولإنسان ما، ويخلق المجتمع نسقا من المفاهيم الأخلاقية –المثل العليا– التي توجه سلوك الإنسان»[3]، بما أن العادات والتقاليد هي أمور معنوية غير حسية إلا أنها تعد من أهم مكونات الثقافة الوطنية التي تميز المجتمع الإنساني عن غيره من المجتمعات، فالمجتمع الإنساني يتشكل من أفراد، هؤلاء الأفراد يشكلون جماعات، لديهم عادات وأعراف وقيم، وعليه فالفرد يأخذ تصرفاته من غيره ويتأثر بهم في طرق حياتهم ويحاول تقليدهم ليكون واحدا منهم، وينتمي إليهم.

5-الاستشراق:

تعد دراسة صورة الآخر في الخطاب الأدبي مجالا مهما من مجالات الأدب المقارن ويعد الاستشراق من أهم هذه الصور، فالاستشراق كان له الدور المهم في رسم صورة مختلفة عن الشرق، وكان لهذه الأخيرة الأثر البالغ في تكوين المخيلة الغربية عن الشرق العربي خصوصا، التي تصور العرب على أنهم متعصبون لدينهم، كما تصورهم في الوقت ذاته على أنهم يميلون إلى اللهو والطرف «أوضح إدوارد سعيد أن الاستشراق مرآة تعكس سلطة الغرب

---

[1] جورج لارين: الإيديولوجيا والهوية الثقافية (الحداثة وحضور العالم الثالث)، تر: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2002، ص29.

[2] حسني محمود: الضفة الأخرى (دراسات في الثقافة والأدب والنقد)، دار وائل للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص18.

[3] برهان غليون، وسمير أمين: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، ط1، دمشق، بيروت، 1420هـ، 1999م، ص234.

وشهوته الإمبريالية، حيث يصدر إدوارد سعيد رؤيته النقدية وعمله المعرفي بالاستناد إلى تصور يرفض النظريات الأصولية في فهم الأدب والتاريخ؛ أي تلك التي ترى في الأصل أن الغرب الأوروبي يغمر بضيائه الثقافات الأخرى، وكان كتابه الاستشراق بمثابة نقد مضاد لكل من النزعات الأصولية في فهم الثقافة والأدب والنقد»[1]، أي إن الغرب يمارس هيمنته على الشرق، «الاستشراق باختصار هو الأسلوب الغربي للسيطرة على الشرق من خلال إعادة بِنْيَتِه وامتلاك سيادة عليه»[2]، بمعنى أن الغرب يزعم حق السيادة على الشرق.

وقد «لعب الاستشراق دورا مهما في رسم الصورة المشوهة عن الشرق العربي والإسلام فهي صورة سلبية مغايرة للواقع، وكان لها دور في أنها أقنعت الغربيين بدونية الشرق، وحاجة أهله إلى الاستعمار»[3]، فهذه الصورة أو الحالة التي يرسمها الغرب عن الشرق تنطلق من تمويه معرفي يدعيه الغرب ويخفي من خلاله كثيرا من الحقائق خصوصا مع الحركة الكولونيالية، فالاستشراق أكثر من مجرد معرفة إنه سلطة وسياسة يهتم بالشرق حضاريا لكن ليس بعقلية الأكاديمي الصارم والباحث عن الحقيقة، بل بدراسة الشرق كما يريد له أن يكون وليس كما كان.

رابعا: العلاقة بين الأنا والآخر:

لا تزال العلاقة قائمة بين "الأنا" والآخر علاقة جدلية افتراضية، فقد تكون "الأنا" على حساب الآخر، أو إلغاء الآخر لصالح "الأنا"، فالحديث عن الآخر يعني اكتشاف "الأنا" لنفسها حيث تتموضع ثنائية "الأنا" و"الآخر" كنسق أساسي يحرك هيكل حوار الحضارات «فهذه العلاقة قائمة على ثنائية الأشياء، وعلاقة التضاد القائمة بينهما، واستحالة الدمج بين هذه

---

[1] حفناوي بعلي: آفاق الأدب المقارن العالمية في تصور الناقد إدوارد سعيد، مجلة عالم الفكر، العدد 04، المجلد 35، أفريل 2007، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] صالح بن عويد الحربي: دراسات صورة الآخر في الأدب العربي وأثر إدوارد سعيد دراسة مقارنة، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد 20، السنة السابعة، 1441، ص169.

الثنائيات، مثل الحياة والموت، والخير والشر، والصواب والخطأ، والذكورة والأنوثة، إلى غير ذلك من العلاقات الثنائية الضدية التي تحكم منطق الأشياء.»[1]

إن العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" علاقة واعية إذا، «إن إدراك الآخر جزء من إدراك الذات وإدراكه كما هو وليس كما يريد، وإن تصوره وفهمه يطرح الآليات الصحيحة لتعامل معه»[2] وهذا يعني أن الآخر مرتبط بـ "الأنا" (الذات)، والظاهر أن "الأنا" غير قادرة على العيش دون "الآخر" الذي يعرفها على ذاتها ويكملها؛ حيث يوسع المرء «اكتشاف الآخرين في ذاته وإدراك أنه ليس جوهرا متجانسا وغريبا بشكل جذري عن كل ما ليس هو: فأنا آخر ولكن الآخرين أيضا فإنهم ذوات شأنهم في ذلك شأني»[3].

وعادة ما ينظر "الأنا" إلى نفسه أنه الأكمل والأصوب والأفضل و"الآخر" هو الناقص والأسوأ وهذه النظرية العدائية أو الضدية بين "الأنا" و"الآخر" هي مصدر تعدد "الأنا" و"الآخر" في مجالات السياسة والفكر والفلسفة والأدب إلى غير ذلك من مجالات الحياة والمعرفة.

وكما ذكرنا سابقا أن "الأنا" و"الآخر" كنسق أساسي يحرك هيكل حوار الحضارات «سواء كانت مظهرا من مظاهر الانقسام الذاتي في جسم المجتمع /.../ ككل على المستوى الديني أم كانت كذلك على المستوى العرقي، أم مظهرا من مظاهر التعارض مع الآخر الأجنبي الذي يتحدى الذات بالقوة والتعلم، فهي إشكالية مسؤولية إلى حد كبير عن نشوء الشعور بالخصوصية الذاتية مما يتبع ذلك من تكوين النشاط الثقافي سمات مميزة تتفاوت من مكان إلى آخر.»[4]

---

[1] سالم معوش: سورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص09.

[2] عالية زروقي: صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى 2010، رسالة دكتوراه في العلوم، إشراف: عبد القادر توزان، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2017، ص17، 18.

[3] عيسى الطهراوي، محمد مشعالة: صورة الآخر في الرواية الجزائرية الفرانكونية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية اللغة الأدب العربي، جامعة باتنة، العدد 17، ط1، ص111.

[4] العمارة لخوص: الأنا والآخر في الرواية الجزائرية، قراءة في نص كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، مجلة الأفاق العلمية، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، العدد 10، 2016، ص29.

«ومن خلال هذا التصور الذي يحدد لنا مفهوم الأنا المبني على السيطرة يحدد مفهوم الآخر، ودلالته بوصفه موضوعا للسيطرة، فالعلاقة بينهما في الوقت نفسه المماثل والمتباين بسماته وخصائصه الفردية أو فروقاته العرقية، فالأنا والآخر يتجسدان ويتمظهران بأشكال مختلفة، ويصبح مفهوم العدو حالة خاصة مع الآخر، معنى هذا أن العدو هو دائما الآخر وليس كل آخر عدو»[1]؛ أي أن "الأنا" و"الآخر" يأتيان في مظاهر مختلفة ومتنوعة، فالعدو يتجلى دائما في صورة الآخر.

ونجد حسني حنفي يرى أن «الأن" هي مرجع تاريخي للآخر كما يرى غيره أن العلاقة بين الأنا والآخر تقوم على قاعدة الحركة والصراع»[2]، ونلاحظ هنا أن الأنا ملزم بالآخر وأيضا الآخر ملزم بالأنا؛ أي إنها علاقة الزامية لا شك فيها، فتعد الأنا والآخر متصلتين ومنفصلتين في الوقت نفسه، فلا وجود لذات دون الآخر.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا بأن "الأنا" اتخذت من "الآخر" صورة لها، فصورتنا عن ذاتنا ونفسنا لا يمكن لها أن تنشأ بعيدة عن الطرف الآخر، كما أن صورة هذا الآخر تكون مرآة عاكسة وصورة لذاتنا، فمن يلغي الآخر يلغي ذاته بالتأكيد؛ ذلك لأن الآخر إنما هو المكمل الفعلي "للأنا" والذات ومن يختزل الآخر بالتالي فإنه سيختزل ذاته.

وتجد بنا الإشارة إلى أن طبيعة العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" تأخذ منحى متخلفا في كل مرة تبعا لاختلاف الأشكال والمظاهر، فإذا كان الآخر مُسْتَعْمِرًا و"الأنا" مُسْتَعْمَرًا أو بالأحرى "الأنا" هو الشرق أو "الأنا" العربية الإسلامية (العرب)، والآخر هو الغرب أو العدو الأجنبي فالعلاقة بينهما هي علاقة صراع وعداء أو ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها "علاقة تبادل المصالح" أو تسامح وصداقة قد مرت ثنائية "الأنا" و"الآخر" باعتبارهما الشرق والغرب منذ نشأتها بثلاث فترات حسب قولهم:

---

[1] حمزة وشان: صورة الآخر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2014-2015، ص06.

[2] حسين عويدات: الآخر في الثقافة العربية في ق 16 مطلع ق 20، دار الساقي، ط1، 2010، ص20.

«الفترة الأولى كان "الآخر" اليونان والرومان وفارس مُعَلِمًا وكانت "الأنا" الحضارة الإسلامية ناشئة مُتَعَلِمًا، الفترة الثانية كانت "الأنا" الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي مُعَلِمًا وكان الآخر الغرب في العصر الوسيط مُتَعَلِمًا، الفترة الثالثة وأصبحت "الأنا" فيها مُتَعَلِمًا والآخر مُعَلِمًا كما كان الحال في الفترة الأولى.»[1]

فالآخر "الغرب" يمثل الحضارة والتقدم والحداثة والتقنية؛ إذ يمتلك السيطرة، القوة، الهيمنة بسط النفوذ، والغلبة، فهو يسعى جاهدا إلى فرض أفكاره وقيمه وعاداته ولغته أيضا ومصالحه وغاياته على الذات العربية والإسلامية (وهذا الشغل الشاغل للاستعمار).

أما "الأنا" "العرب" يمثل التخلف، التعصب، الرفض، التصدي لكل ما هو جديد، التمسك بموروثهم القديم فهو متأخر في ركوب قاطرة التقدم العلمي، ومتخلف تكنولوجيا.

فالغرب لازمة ضرورة بالنسبة للشرق «إذ أصبح حضوره في مشاريعنا المستقبلية حضورا مزدوجا: نحن نستحضره كخصم نخشاه وفي ذات الوقت كمثال ونموذج يفرض علينا الاقتداء به بشكل من الأشكال على الأقل في مجال العلم والتكنولوجيا، إنه "الآخر" الذي يشعر "الأنا" أنه يلغيها ولكنه في نفس الوقت المثال الذي لا يستطيع "الأنا" أن تفكر في مستقبلها دون الارتباط به بأي نوع من الارتباط»[2]؛ أي إن الشرق لا يمكنه إكمال مسيرته والاستمرار في حياته دون ركب ضمار الحضارة والحداثة الغربية بكل ما تحمله من إيجابيات وسلبيات.

فالآخر ليس عيبا أو نقصا وإنما هو ضرورة حتمية، فالآخر عكس الأنا وفي ذات الوقت هو مكمل لها فلا معنى للأنا دون الآخر ولا معنى لهذا دون الأنا، وكما ذكرنا سابقا أن العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" تجسدت فيما يلي:

---

[1] حسن حنفي: جدل "الأنا" و"الآخر": دراسة في تلخيص الإبرير للطهطاوي في كتاب صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص293، 294.

[2] محمد عابد الجابري: مسألة الهوية: العروبة والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، 1995، ص140.

1-علاقة صراع وصدام:

من المتعارف عليه أن العرب ترفض دائما الغرب وأن العلاقة بينهما تتمثل في الصراع المستمر، فهذا الآخر الغربي الأجنبي هو الذي يعارض الذات العربية عامة والإسلام خاصة ويظهر بصورة المستعمر، فالعلاقة مقيدة بالتصادم والمواجهة، فقد نشبت حروب عديدة بينهما «وارتبطت علاقة العرب بهم بالتصارع العداء المستمر»[1]، كما أن الغرب ليس في قطيعة تامة ونهائية مع الشرق بل في كل الأحوال لاقى اهتماما وقبولا وذلك بدءا من اللغة التي يتحدث بها والبيئة التي يعيش فيها والدين الذي ينتمي إليه.

مما لا شك فيه أن الغرب ينظر بتلك الصورة السيئة والسوداوية للشرق أو للذات العربية وهذه النظرة ليست وليدة الزمن الحالي أو الحاضر، بل هي نتاج تاريخ طويل بينهما، فالتصور الغربي عن العرب والإسلام كما يرى "المسيري" «هو نتاج تاريخ طويل خاص بالغرب ذاته من جهة أولى بما عُرِفَ بالمركزية الأوروبية، وربما أحيانا الأورو-أمريكية، في تعامل الغرب (المركز) مع الآخرين (الأطراف) بتعال وتهميش من جهة ثانية، وبالعلاقة بين الشرق وبين الغرب من جهة ثالثة وبالمعتقدات والخلفيات والمرجعيات الفكرية والدينية من جهة رابعة»[2].

2-علاقة التجاذب والانبهار:

من المتعارف عليه أن العرب لديهم رؤية انبهارية وإعجابية تجاه الغرب، فنجد الغربي (الفرد الأجنبي) ارتسم في صورة المتحضر المتقدم باعتباره متفوقا علينا في كل من النظافة المعاملة، الإنسانية، فالذات العربية تتخذ موقف افتتان بالكم الهائل من التطور التكنولوجي في شتى النواحي، ولم تقتصر على هذا فقط بل تعدته إلى أن الغرب رمز للحرية والمساواة وهي المثل الأعلى في المعاملة بالرغم من الاختلاف الديني والعقائدي، وكون الشرق العربي يتميز وما زال يتميز بالأساس العقائدي والروحاني والدفء الديني.

---

[1] سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، ص39.

[2] نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص41.

إن ما يثير انبهار الإنسان العربي هو الآخر الغربي، ونعني «بالرؤية الانبهارية تلك النظرة الأولى للأنا وهي تتأمل منجزات الآخر المماثل أو المخالف، تلك النظرة الحائرة قائمة على الاندهاش والتعجب والانبهار بحضارة الغرب ... وغالبا ما تكون تلك النظرة في البداية نظرة فطرية ساذجة، أو نظرة واعية نسبيا بالفوارق الموجودة بين الشرق والغرب ... وذلك بسبب صدمة الحداثة، أو صدمة الاستعمار.»[1]

يمكننا القول: إن هذه الرؤية هي نظرة الذات المعجبة بحضارة الغير؛ حيث إن «هذا التقارب بين الأنا والآخر لن يكون إلا عبر ظلال الحب والاحترام الذي تجلى بالاعتراف بخصوصية الآخر»[2]، فما يجعل العلاقة إيجابية وسليمة هو الاحترام والتقدير المتبادل في مختلف مجالات الحياة بين "الأنا" العربي و"الآخر" الغربي.

[1] عامر جميل الصرايرة: جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام (2001-2011)، رسالة دكتوراه، اللغة العربية، إشراف: محمد الشوابكة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 2013، ص68، 69.

[2] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، (د، ط)، الكويت، 2013، ص167.

الفصل الثاني:

تشكلات الأنا والآخر في رواية قلوبهم معنا وقنابلهم علينا لأحلام مستغانمي

أولا: الأنا والآخر والتشكيل العنواني

1-الأنا والآخر والعنوان الرئيسي:

تبرز عتبات النص جانبا من العناصر المؤطرة لبناء العمل الأدبي، وبعض طرائق تنظيمها، فمن المعروف أن العتبات مهمة في مجال تحليل النص الأدبي؛ لأنها تساعد الباحث أو الناقد أو المحلل على فهم النص وتفسيره، ويعد جيرار جنيت من أهم الدارسين الذين عمقوا البحث في العتبات خاصة في كتابه المعنون بـ "العتبات"، وهذه الأخيرة تنقسم إلى نصية لسانية وأخرى أيقونية، فتعددت أسماء هذا الحقل المعرفي الذي استرعى اهتمام الباحثين والدارسين، خطاب المقدمات، عتبات النص، النصوص المصاحبة، النصوص الموازية سياجات النص والمناص.

إن العتبات النصية تفتح مسارا للقارئ نحو أفق التوقع والتأويل من جهة، وهو ما يشجع المتلقي على إنتاج اللغة الواصفة وتوليد أكثر من دلالة، ومن جهة ثانية تعمل على كسر قدسية النص كبنية لغوية مكتفية بذاتها لا تحيل إلا على ما هو محايث ضمن شبكة من الوسائط اللغوية «إنها بحسب جيرار جنيت البوابة الرئيسية للولوج إلى بهو النص الروائي والتعرف على متاهاته، وتلمس أسرار لعبته، وإدراك مواطن جمالية، فهي التي تسيج النص وتسميه وتحميه وتدافع عنه، تميزه عن غيره، تعين موقعه في جنسه، وتحث القارئ على اقتنائه»[1]، تعد عتبات النص من أهم العناصر إلى جانب التناص والتعالق النصي ومعمارية النص، وهي نوعان: داخلية وخارجية، مثل: الغلاف، العنوان، الإهداء، التقديم، نوعية الخط دار النشر، كلمة الناشر، والمسودات.

إن العنوان باعتباره العتبة الأولى للنص التي تمكن المتلقي من فك شفراته الداخلية ومعرفة جل رموزه، فالعنوان محطة إبداعية يقف عليها المؤلف طويلا في العمل الأدبي ويختلف توقيت وضع العنوان من كاتب إلى آخر؛ حيث يساهم في توضيح دلالات النص

[1] حبيب بوهرور: العتبات وخطاب المتخيل في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الأثر، العدد 24، مارس 2016، ص15.

واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية إما فهما أو تفسيرا أو تركيبا، ومن ثمة فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص والسفر في دهاليزه الممتدة، كما أنه الأداة التي يتحقق بها اتساق النص وانسجامه، وبه تبرز مقروئية النص وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة، يمثل العنوان «بطاقة تعريف النص هويته التي تشكل وجوده»[1]، والعنوان له دور هام في توجيه أفق التوقع وتحديد نمط التلقي، وفي شد الانتباه وإثارة الفضول حول محتوى العمل، وقد يحدث أحيانا أن يكون العنوان أشد شعرية وجمالية من العمل في حد ذاته.

ويعرفه "ليو هوك Leo Hick" وهو مؤسس علم العنوان الحديث «مجموعة الدلائل اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه وتشير لمحتواه الكلي لتجذب جمهوره المستهدف»[2]، فالعنوان علامة لسانية وعليه يتشكل من دال ومدلول، ودور القارئ والجمهور هو الربط بينهما لتحقيق الدلالة التي يستدل بها لإدراك محتوى النص، والعنوان هو الاسم الذي يميز الكتاب بين الكتب كما يتميز الإنسان باسمه بين الناس العنوان يكون للكتاب وقد يكون للفصول داخل الكتاب، إذ يتميز العنوان اليوم بالإيجاز، وقد يلجأ الكاتب إلى عنوان فرعي للتوضيح، يتبين لنا أن العنوان من أهم العتبات النصية منذ القديم إلى يومنا هذا فهو بمثابة مفتاح النص، به نفهم النص ومعاينة الأحداث الظاهرة والباطنة.

إن العنوان سيل جارف يتمتع بقوة ذاتية لفرض إقامته وتستدعي القراءة لمعاينة استعراضاته، هذه الاستعراضات التي تشد رؤية المتلقي، وتجعله يعيش حالة الحيرة والدهشة حتى تتمكن من الإيقاع به في فخ سيلها فلا يستفيق إلا وهو يصارع هزات العنوان الارتدادية متخبطا بين ثنايا أمواجه مراقصا إياها على إيقاعات متنوعة فمن أين تأتي هذه القوة؟

إنها بطبيعة الحال الوظائف المتعددة للعنوان «يحدد جيرار جنيت للعنوان أربع وظائف:

-وظيفة تعيينية تعطي الكتاب اسما يميزه بين الكتب.

---

[1] باسمة دِرمش: "عتبات النص، مجلة علامات، نادي الأدب الثقافي، العدد 21، المجلد، 16، الجزء 61، جدة، ماي 2007، ص41.

[2] علي جعفر العلاق: الدلالة المرئية «قراءات في شعرية القصيدة الحديثة»، دار الشروق، ط1، عمان، 2002، ص55.

-وظيفة وصفية تتعلق بمضمون الكتاب أو نوعه أو هما معا.

-وظيفة تضمينة أو ذات قيمة تضمنية تتصل بالوظيفة الوصفية وتتعلق بالطريقة أو الأسلوب الذي يعين العنوان به.

-الوظيفة الإغرائية تتصل بالوظيفة التضمينة.»[1]، فالعنوان يعتبر مفتاحا إجرائيا يفتح الأبواب المغلقة منذ زمن بعيد من خلال استقرائه لسانيا وسيميائيا وذلك من النواحي التركيبية والدلالية والتداولية.

ويتمظهر العنوان ضمن عدة أنواع «1-العنوان الحقيقي Le Titre Principale وهو العوان الأصلي، كبطاقة تعريفية تمنح النص هوية دالة، 2-عنوان فرعي Sous Titre يأتي بعد العنوان الرئيسي، ويعمل على تكملة المعنى»[2].

إن العنوان هو الذي يعين النص ويجعل له دعامة ثابتة يؤكد على صحته، وهو الذي يحقق للنص اتساقه، وبذلك فالعنوان أهم العناصر التي استند إليها النص المصاحب وهو بمثابة عتبه تحيط بالنص، وقد غدت ظاهرة العنونة هاجسا للناص وهو يقدم نصه للقارئ.

أ-بنية العنوان:

وقع اختيارنا على رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" للروائية أحلام مستغانمي تحقيقا لغاية مفادها: الوصول إلى أي مدى تنسجم دلالة العنوان ووظائفه مع دلالات النص؟ وإلى أي مدى استطاع التشكيل العنواني (العنوان الرئيسي) أن يحقق ثنائية "الأنا" و"الآخر"؟ وإذا أخذنا رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" لأدركنا قدرة هذا العنوان على مدى إثارة إعجاب القارئ به ومن جهة عن الحيرة والابهام؛ كونه إشارة وعلامة رمت بها المبدعة على صفحة الغلاف لتزيد من حيرة القارئ، وتدخله لعبة القراءة والتأويل، فقلوبهم معنا وقنابلهم علينا باعتبارها عنوان

[1] لطيف زيتون: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار نهال للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص126.

[2] روفية بوغنوط: شعرية النصوص الموازية في دواوين عبد الله حمادي، مذكرة ماجستير، جامعة أم البواقي، 1427-2006، ص119.

للرواية لم يكن مفتاحا نلج من خلاله للنصر ونفهم أعماقه، بل جاء مبهما متلبسا وهذا ما قادنا لقراءة نص الرواية لنجعل العملية عكسية من النص إلى العنوان.

جاء عنوان الرواية غريبا يستهوي القارئ من الوهلة الأولى فيسعى لفك شفراته ودلالاته فالعنوان الرئيسي جاء جملة اسمية تتكون من أربع كلمات هي: قلوبهم، معنا، قنابلهم، علينا وواو العطف.

ومما نلاحظه أن عنوان هذه الرواية جاء مكتوبا بخط متوسط يتموضع وسط الغلاف في وسط الصفحة في صفحة العنوان بعد اسم الكاتبة ومجموعة أشكال من القلوب نجد قلوبهم معنا "نكرتين" باللون الأحمر الذي يحيلنا إلى الجرأة، القوة، الدفء، الغضب، الحدة، الانفعال الحب، الراحة، الفرح، العاطفة، الشوق، الشجاعة، القيادة، العزيمة، الإحساس، والاندفاع.

وتتمركز بعدها مباشرة كلمتان "وقنابلهم علينا" "نكرتان" باللون الأسود القاتم الذي غالبا ما يدل على الحزن، الخراب، الوحدة، الجهل، القوة، الدمار، السيطرة، والهيمنة، وتلي هاتين الكلمتين مجموعة من أشكال للقنابل، فالعنوان الرئيسي محصور بين مجموعة من القلوب في الأعلى مرتبطة بلفظة (قلوب) ومجموعة قنابل مرتبطة بلفظة (قنبلة). من هذا نجد أن نوع ولون الخط لهما أثر في عملية تلقي العنوان.

وأخيرا نستنتج أن العنوان جاء حاملا في طياته دلالات ومعاني متنوعة لا يمكننا التوصل إليها إلا بالقراءات المتعددة فأمريكا التي قلبها معنا وقنابلها علينا ابتدعت طريقة جديدة في إظهار حبها لنا، وحرصها على مصالحنا في اجتياح عاطفي لا عهد للإنسانية به، فعنوان روايتنا الذي تربع الغلاف قد صيغ بطريقة تتطلب منا الكشف والدراسة.

ب-دلالة العنوان:

قد يجد القارئ هذا العنوان غريبا لكن عند قراءته للنص سيبدأ بحل شفراته وفك رموزه ومن العتبة الأولى للنص المتمثلة في العنوان "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" تستوقفنا مفردتين أساسيتين "قلوب" و"قنابل" لكل منهما دلالة تختلف عن الأخرى، فالأولى جمع مفرده "قلب" وهو العضو الأساس في جسم الإنسان، وهو مضخة عضلية بحجم قبضة اليد تضخ الدم إلى كل أنحاء الجسم عبر الأوعية الدموية، تعمل دون توقف وتنظم الإيقاع والنبضات، ومن ناحية

أخرى تربطه علاقة وطيدة بمشاعر الإنسان وضميره كذلك؛ حيث توحي كلمة قلب إلى الحياة والموت أولا، فلا وجود للحياة دون قلب ينبض، أيضا هو مرتبط بمشاعر وأحاسيس الإنسان من حب وكره، أما الثانية "قنابل" جمع مفرده "قنبلة" وهي جسم معدني أجوف يحشى بالمواد المتفجرة يقذفه العدو على غيره، وهي أيضا أداة متفجرة تستخدم غالبا في الحروب ومهمتها في الأساس قتل الناس والتدمير والتخريب، غايتها تفجير ونسف وإزالة ومنع حركة منتجات أنتجها الإنسان كالمباني والسيارات والبواخر والمراكب، وقد تستخدم أيضا للأسباب نفسها مع الطبيعة في مقالع الحجارة والجبال.

وتوحي كلمة "قنبلة" بالأساس إلى الخراب، الدمار، الإرهاب، الحرب، الموت، الظلم انتهاك الحقوق، قمع سلطة الشعوب، والعدو الذي يسعى إلى الهيمنة والسيطرة على الشعوب المستضعفة من خلال قصفهم بالقنابل المتفجرة الفتاكة بأرواح البشر وكل هذا لغاية واحدة وهي الاستعمار.

كانت هذه أبرز دلالات القنبلة بالنسبة "للآخر" العدو الأجنبي المستعمر، أما الدلالة المتعلقة بـ "الأنا" الضعيف المنْتَهك المغْتَصَب، إن هذه "الأنا" المستضعف الذي لا حيلة ولا قوة له لمواجهة قوى الاستعمار يسعى دائما للدفاع عن نفسه بشتى الطرق، لكن لا مفر من قنابل العدو الظالم لتنتهي به في الأخير تحت ظل الاحتلال مسلوبا من كل حقوقه وأرضه فتصبح هذه "الأنا" مدمرة هشة غير قوية، ونجد العنوان الرئيسي نفسه عنوان فرعي في الباب الثالث المعنون بـ "خالتي أمريكا" إن الملفوظ التركيبي "هم" الظاهر في لفظتي قلوبهم وقنابلهم تدل هنا على الآخر الجمعي "الغرب"، أما الملفوظ التركيبي "نا" الظاهر في لفظتي "معنا" و"علينا" توضح "الأنا" الجمعي الذي يحقق انتماءه للعرب، إن طبيعة العلاقة بين "الأنا" الجمعي و"الآخر" الجمعي هي علاقة صراع واحتدام فرضها احتلال الآخر الغربي للأنا العربي.

2-الأنا والآخر والعنونة الفرعية:

للعنوان الفرعي أهمية لا يمكن الاستغناء عنها، فمن خلاله يمكننا معرفة طبيعة النص وتحديد نوع القراءة، ويتميز هذا الأخير بخاصية تبعية فقط يتأتى في الدائرة الدلالية للعنوان

الرئيسي أو يكون شارحا له، ويختزل العنوان الفرعي ببساطة وتميز عدة دلالات تعبيرية ولغوية، وهذا ما يجعل العنوان خطابا رمزيا «يعتمد على ادخاره لمخزون وافر من التأويلات التي تحمل كمًا من الأفكار والمعاني ذات الصلة الوثيقة بالحمولة الدلالية للنص وجمالياته»[1]، ولو تأملنا العناوين الفرعية لرواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" لنجدها تحمل في طياتها دلالات وتأويلات متعددة، سيكون مرورنا الأول بالعنوان الفرعي "شوف بوش بقى واتعلم" فللوهلة الأولى عند قراءة العنوان يتبادر إلى أذهاننا أن هذه الجملة تحمل داخلها سخرية لاذعة عامة ومن جورج بوش خاصة.

بدأت الراوية جملتها بلفظة "شوف" هذه الأخيرة التي جاءت باللهجة العامية، أما "بوش" (جورج بوش) وهو الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية الذي أقر الغزو الأمريكي على العراق عام 2003م، أما الشق الثاني من العنوان "بقى واتعلم" هو خروج عن اللغة المألوفة أي اللغة المستعملة وما يلفت انتباهنا هنا أن الروائية أحلام مستغانمي وظفت اللهجة المصرية والتي تحمل دلالات متعددة منها السخرية، التهكم، والاستهزاء في أشد درجاتهم، فهي تطلب من العرب أن يتعلموا من بوش وذكائه، لكن المعنى الحقيقي وراء هذا أنها تسخر من جورج بوش ومن أعماله اللاأخلاقية، هذا الوغد الذي شن هجوما على العراق وكان الأكثر إبادة في تاريخ البلاد آنذاك.

تبرز ثنائية "الأنا" و"الآخر" في هذا العنوان الفرعي من خلال لفظة "شوف" التي تتوجه بها إلى "الأنا" العربي على أساس أن تنظر إلى بوش وتتعلم منه، ويتجلى "الآخر" في لفظة بوش وهو ذلك العدو الأجنبي المستعمر، ومن خلال هذا العنوان أرادت الروائية أن ترفع التحدي.

أما العنوان الفرعي الثاني "العراق هذا الكريم المهان" بدأت الكاتبة جملتها بلفظة "العراقي" وهو الذي ينتمي إلى حدود دولته، ذو جنسية عربية عراقية أصيلة بصفة عامة، أما العراقي الذي تقصده أحلام مستغانمي هو العَالِم من نخبة الأمة، هذا العَالِم العراقي الكريم المهان الذي

[1] باسمة درمس: عتبات النص، ص40.

لا مصير له. فالعراق عاجزة عن حماية علمائها، فالعَالِم العرقي أول المستهدفين وأول رمز عربي تُصِرُ أمريكا على إذلاله، العلماء العراقيون مخيرون اليوم بين أن يكونوا عملاء أو شهداء فسقط كبرياء العراق يوم أهين علماؤه مرتين: الأولى بمذلة العوز والحاجة، والثانية بذلة عالم أجبر على الاعتذار لعدوه عن عمر قضاه في البحث العلمي.

وجاء العنوان الثالث "خالتي أمريكا" موجزا في لفظتين حاولت الكاتبة من خلاله إظهار المعاناة التي يعيشها الشعب الأمريكي من وحدة وعزلة وانفصال وتفكك الروابط العائلية، وهذا ما جعل الروائية تختار كلمة "خالتي" بالذات في عنوانها هذا، ومن جهة أخرى حاولت أن تشرح طرق أمريكا الخبيثة في التزوير والنهب وغيرها من هذه الأعمال، فهي اعتادت ألا تفرق بين القبل والقنابل عادة، حيث أنها كثيرا ما تبعث بصواريخها موقعة للإغراء بقبل نجمات لتقصف بها الناس.

برز "الأنا" جليا في العنوان الثاني "العراقي هذا الكريم المهان" وهو "الأنا" العراقي العربي المهان المضطهد وبالتحديد "الأنا" العالم الذي تم إذلاله وإهانة كرامته وتجريده من كل مبادئه فلم يكن للآخر حضور في هذا العنوان لكن سرعان ما وظفته في العنوان الثالث "خالتي أمريكا"، فنجد ياء المتكلم في الملفوظ "خالتي" تدل على "الأنا" الفردي الذاتي للكاتبة، أما الملفوظ الظاهر "أمريكا" فتدل بوضوح على "الآخر" الغربي المتسلط الذي يحيك المؤامرات ضد العرب.

ونجد العنوان الرابع " تصبحون على خير يا عرب" جاء في جملة غالبا ما نتداولها ليلا عندما يحين وقت النوم، لكن على عكس المألوف استعملتها الروائية في غير موضعها، فهي تريد بها أن العرب في غفلة من أمرهم، وأن كل المؤامرات تحاك ضدهم، إلا أن كلمة مؤامرة تجردت من معناها في وطننا العربي، نجد هنا المقومات الملفوظية التي تدل على حضور "الأنا" المتكلمة التي صاغت هذا الملفوظ الموجه من "الأنا" الفردية إلى "الأنا" الجمعية المعبرة عنها الروائية بواو الجماعة والملفوظ الدال على الانتماء إلى العرب.

إن الذي دفع الروائية لهذا القول هو "الآخر" المضمر خطابيا، نلاحظ أن ملامح السخرية تتكرر في مجمل العناوين الفرعية للرواية، وقد فضحت المبدعة أحلام مستغانمي نوايا الخطاب

السياسي الأمريكي المبني على قيم مزيفة ترفض السلام والاحترام، من خلال جملة مقالاتها التي اندرجت ضمن هذه العناوين السابقة التي كانت بمثابة الأرضية الممهدة للغوص في أعماق النص، فهي تحمل في طياتها دلالات متعددة حاولنا من خلال ما سبق أن نكشف عن جزء بسيط من هذه الدلالات.

ثانيا: حضور الأنا والتشكيل السردي:

تعد قاعدة معرفة الأنا قاعدة أساسية تسترعي الاهتمام في بناء المجتمع، حيث اتجهت الدراسات الحديثة إلى الاهتمام بالأنا في نماذج من الروايات العربية، هذه الأنا التي لم تلق عناية بارزة في النظريات النقدية إلا مؤخرا، إن الدراسة لمحتوى نص الرواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" والبحث في مضامينها ومختلف صور الأنا وتجلياتها فيها سيمكننا من رصد تعدد أوجهها، واختلاف شخصياتها التي تتفاعل داخل هذا النص الروائي، فنجد منها: العراق والتي تمثل الأنا بصفة عامة في هذه الرواية حاولت أحلام مستغانمي من خلال دارستها هذه رصد "الأنا العراق" في صورة المحتل الضعيف المظلوم وما تعرض له الأنا "العراق" من حرب ودمار، وانتهاك لحرمته، وسلب حريته، ومن الشخصيات التي تبرز لنا صورة الأنا العربي العراقي نجد الشخصية المحورية في هذه الرواية "صدام حسين" الرئيس العراقي، فلا نجد صفحة من صفحات الرواية تقريبا إلا وقد ذكرت أحلام مستغانمي اسم صدام فيها، إضافة إلى هذا الأخير نجد شخصية قصي وعدي توجه آخر للأنا العربي.

1-الأنا والهوية المكانية

العراق:

العراق هو دولة عربية عاصمتها مدينة بغداد، كانت جمهورية العراق تعيش حالة من الأمن والاستقرار، لكن تغير الوضع عندما تربع جيش "صدام حسين" في الكويت، وبعد محاولته اغتيال والد "جورج بوش" أصبحت العلاقة بين أمريكا والعراق متوترة، حينها بدأ الائتلاف القوي الذي أخرج جيش صدام من الكويت بالتصدع وزادت الحالة من حدتها، وهذا ما جعل أمريكا

تقرر تحالفا دوليا لغزو العراق لأسباب وذرائع عدة منها: انتقام شخصي من جورج بوش بحق صدام حسين لضلوعه في محالة اغتيال والده بالكويت، وادعائهم امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل.

إن قضية احتلال العراق قد اتحدت فيها كل الدول العربية، وتضامنت معها فبعثت بعضا من شعوبهم لمساندة العراقيين إلا أن أمريكا قد استهانت من هذا التضامن، واعتقدت أنهم ذهبوا ليحترقوا بنار الحرب، «أخاف شخصيا على العراق، مادام أمانة في عنق الدروع البشرية التي وصفها البيت الأبيض بفراشات الليل الغبية، التي تذهب إلى النور لتحترق، فهؤلاء الحمقى تركوا همهم أيضا أهلهم وبيوتهم وبلادهم وجاؤوا متطوعين بالآلاف من مختلف أرجاء العالم تضامنا مع الشعب العراقي لمقاسمته ما سينهمر عليه من قذائف.»[1]

إن اختيار أمريكا لغزو العراق لم يكن محض صدفة، بل كان بتخطيط مسبق واحتفاء من قبل رئيسها جورج بوش، وذلك ليكون عبرة لكل الدول العربية «في الواقع، اختيار بوش العراق للعبرة، ليحارب فيه جميع الأنظمة العربية، على طريقة المثل التونسي القائل: اضرب القطوسة تفهم العروسة.»[2]

فأمريكا نفسها أرادت غزو العراق، لم تكن تعرف أن في العراق مدنا، فهم في غفلة من أمرهم، يعتقدون أنها صحاري «بوش نفسه لم يكن يعرف هذا، حتى أن كاريكاتوريا فرنسيا أظهره وهو يوبخ مستشاره قائلا: لماذا لم تقل لي إن في العراق مدنا وليس صحاري فقط؟»[3] ظلت الدول العربية قلبا واحدا مع العراق ينبض بالحرية والاستقلال، وكان هذا سببا في اشتداد كره أمريكا للعراق فأكثرت من هجماتها العسكرية وقذائفها وقصفها للعراق «إنها حرب تحرير يراد بها تحرير العراق من أبنائه غير أن البعض في اجتهاد لغوي يسميها حرب احتلال لأن

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط3، بيرت، لبنان، 2010، ص47.

[2] المصدر نفسه، ص51.

[3] المصدر نفسه، ص54.

المقصود بها احتلال القلوب العراقية والعربية مشتبه في كرهها لأمريكا في اجتياح عاطفي مسلح لم نشاهد مثله في أي فيلم هوليودي»[1].

قد خلف الغزو الأمريكي للعراق خرابا ودمارا راح ضحيته عشرات القتلى والموتى ودمرت فيه أهم المنشآت النفطية وهذا لصالح أمريكا، فهي تريد إعادة بنائها على حسابها، وهذا كما ذكرته الروائية في قولها: «أثناء انشغال العراقيين في دفن أفواج موتاهم والبحث عن قوتهم بين فكي الموت كانت أفواج قطاع طرق التاريخ تدمر منشآت العراق، ليتسنى لها في ما بعد بناؤها في صفقات خرافية، ثم تقاسم وليمتها مسبقا بين ملائكة البيت الأبيض»[2]، الأنا العراقي كان له الظهور الأكثر في روايتنا هذه، فقد ورد بمثابة نموذج ينوب عن الوطن العربي ككل، فهو يمثل الأنا المضطهد والمنتهك لجميع حقوقه وحرياته، أرادت الكاتبة أن تبين لنا أحوال هذا الأنا (الأنا العراقي) إثر احتلال الآخر الغربي له.

تحدث الروائية أحلال مستغانمي في روايتها عن العديد من الدول العربية، لكنها اكتفت بذكرهم فقط دون أن تغوص وتتعمق كثيرا في تفاصيلهم، لكن هذا لا يمنعنا من القول: إن هذه الدول قد شكلت الأنا الجمعي باعتبارهم جميعا يمثلون الأنا بصفة عامة، نجد في السعودية مثلا بمجرد رؤيتهم هول دمار العراق أصيبوا بصدمات نفسية، وفي بعض الدول العربية أيضا منهم من اقتنى تذكرة من أجل الموت دفاعا عن العراق، «في السعودية سجلت جهات طبية انتكاسات صحية صدمات نفسية لدى بعض من تابعوا مشاهد الدمار في العراق ولا أظن الأمر يختلف كثيرا في بلدان عربية أخرى وصلت الحماسة بأبنائها إلى استدانة ثمن تذكرة من أجل الموت دفاعا عن العراق»[3]، وقد ذكرت أيضا دولا عربية أخرى مثل الجزائر، فلسطين وبيروت كلهم تضامنوا مع العراق، وهكذا فالأنا الفردي العراقي حقق انتماءه القومي للأنا الجمعي "الدول العربية" وبتوحد العرب مع القضية العراقية أصبحوا قلبا واحدا.

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص187.

[3] المصدر نفسه، ص58.

2-الأنا والشخصيات:

شخصية صدام حسين:

صدام حسين هو الرئيس السابق لجمهورية العراق، والقائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية، أثناء فترة رئاسته قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتحالف دولي ضده، حيث تم إسقاطه عام 2003م، تعرض قبل هذا إلى عدة اغتيالات لكنه حالفه الحظ في كل مرة وخرج منها سالما، صدام حسين كل مستهدفا في معظم خرجاته من قبل الاحتلال الأمريكي «صدام الذي نجا أكثر من محاولة اغتيال سبق له أن قال مدعيا استخفافه بحياته عمر الفائض وكان يعني بالفائض فائض الدم العراقي»[1]، وبعد ذلك هرب صدام وعثر عليه ثم جرت محاكمته ونفذ في حقه حكم الإعدام «مات صدام إذن شنقا حتى الموت، الذين لبسوا حداده والذين بكوه والذين فتحوا له مجالس عزاء، والذين حزنوا عليه حد الانتحار /.../ ليسوا هم من استفادوا من سخائه وإغداقه أيام العيد، هؤلاء بلعوا ألسنتهم ودعوا في سرهم أن تموت معه أسرارهم، ليت حكامنا يعتبرون في حياته من وضع كرههم في غير أهله /.../ صباح العيد أغمضت عينه حتى لا يراهم يرقصون حول جثته كالأقزام»[2]، هكذا أعدم صدام حسين في صباح عيد الأضحى المبارك، فلم يكن بالنسبة للأمة العربية يوما عاديا ولا مجرد عيد أضحى بل زحمة من الأعياد في وقت سادت فيه شعارات أمريكا بالحرية والديمقراطية في العراق «ما كان موت صدام عيدا، كان بالنسبة له زحمة أعياد، أو كما تقول أمي: نافسة، ومطهر وليلة عيد، كل هذه المباهج اختفى لا بشنق رجل حتى الموت في زمن الديمقراطية الأمريكية وحقوق الإنسان المباركة.»[3]

تضامن العرب مع إعدام صدام حسين، فيوم شنقه أعدمت الأمة العربية معه، وسقط وطن بكل ما فيه، وأهينت عروبة أمة، وانهزمت بموته، سقطت عزتهم وكبرياؤهم «اليوم وقد أعدموا صدام وشنقوا معه وطنا بأكمله، كان قويا موحدا به، اليوم وقد شنقوه وأهانوه لينالوا من

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص52.

[2] المصدر نفسه، ص95.

[3] المصدر نفسه، ص94.

عروبيتنا وما بقي من عزتنا، أشعر أن لي قرابة بهذا الرجل، وأنه لو قدر لي أن أزور العراق عندما يتحرر من محنته سأزور قبره وأعتذر له عن زمن تفشى فيه داء نقصان مناعة الحياء لدى حكامنا، وانخفض منسوب الكرامة حتى غدا مجرد الترحم على رئيس عربي أمر يخيفهم ما دامت أمريكا هي من سلمته لسيافه»[1]، من أحلام صدام أن يكون رئيسا للعالم بأكمله وعند محاكمته وشنقه تحقق هذا الحلم فأصبح رئيسا لكل الأمة العربية في صباح ذلك العيد المبارك تقول الروائية: «في لحظته الأخيرة حقق إنجازه الأجمل، ذلك الحلم الذي أودى به، فقد أصبح رئيسا لكل العالم العربي حين سال دمه ليغطي المساجد والساحات والبيوت العربية صباح عيد الأضحى»[2].

وقد اعترفت الكاتبة في روايتها هذه بتأثرها الكبير لموت الرئيس صدام حسين، وهذا بدا ظاهرا وجليا في قولها: «أعترف أنني بكيت صدام، بكيته مشنوقا وقد كان شانقا، بكيته إنسانا بكيته عربيا، بكيته مسلما، ويوم كان حاكما بكيت منه»[3]، رفض صدام حسين يوم محاكمته أن يلبس قناع الشنق، لكنهم واجهوه مقنعين، قذفوه بالشتائم فرد عليهم بالشهادة، فهو لم يمت يوم شنق بل مات يوم أطاحوا به، كان لشخصية صدام حسين في هذه الرواية الدور الأكبر في تجسيد الأنا العربي الظاهر، هذا الأنا الفردي نجده قد ناب الأنا الجمعي وهو شعب العراق باعتباره رئيسا لهم.

شخصية عدي صدام:

هو الابن البكر للرئيس العراقي صدام حسين، وهو سياسي وقائد عسكري عراقي يأتي في المرتبة الثالثة في لائحة الشخصيات العراقية النى تلاحقها القوات الأمريكية في العراق كان مسؤولا على المليشيات المعرفة باسم قيادي صدام، تعرض عدي لعدة محاولات اغتيال نجا منها بأعجوبة في كل مرة، حاول دخول المعترك السياسي وقبل تعرضه لمحاولة الاغتيال كان يعتبر وريث والده، إلا أن نجم شقيقه قصي عاد وصعد ليصبح المفضل لدى والده، تسلم

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص96.

[2] المصدر نفسه، ص93.

[3] المصدر نفسه، ص96.

مسؤوليات إعلامية عدة مثل الإشراف على صحيفة وتلفزيون، وترأس تنظيمات شبابية ورياضية، وبصفته مسؤولا اقترح أن يكون آخر ميلاد للقائد المفدى 28 نيسان (أبريل) بداية للتقويم الزمني الجديد في العراق «أذكر طيب الذكر عدي، كان في آخر عيد ميلاد للقائد والمفدى قد اقترح على لسان "مجلة الشباب" التي كان يرأسها أن يكون 28 نيسان بداية التقويم الزمني الجديد في العراق، وأن يبدأ العمل به في رزنامة الأعوام المقبلة رافعا بذلك والده»[1] كان عدي محبا لوطنه وشعبه مخلصا لهما، وهو مهووس بالسهرات الصاخبة ورغم ما تعرضت له بلاده العراق من حصار أمريكي إلا أنه أراد أن يقيم حفلا كبيرا يتحدى به الجيوش الأمريكية «وكان بدعوة من طيب الذكر عدي الذي بما عرف عنه من حب الشعب العراقي وولع بالسهرات الصاخبة أراد أن يهدي العراقيين حفلا لم تشهد مثله بغداد، يتحدى به الجيوش الأمريكية الرابضة على مشارف حدوده، حتى وإن كلفه ذلك دفع مليون وربع المليون دولار لمطربته المحبوبة حسب ما تناقلته صحف عربية في عناوين كبرى»[2].

وكما ذكرنا سابقا أن عدي تعرض لمحاولة اغتيال نجا منها، إلا أنه لم يشف تماما من إصابته وظهر ذلك في مشيته المتثاقلة البطيئة، فقد تم زرع قطع البلاتيني في رجله بواسطة عمليات جراحية، «استدلوا على جثة عدي من خلال قطع البلاتين التي تم زرعها في رجله أثناء العمليات الجراحية التي أجريت له إثر تعرضه لمحاولة اغتيال فاشلة»[3]، تجسد أيضا الأنا مع شخصية عدي صدام، إلا أننا لم نلمح ظهوره كثيرا في هذه الرواية.

شخصية قصي صدام:

هو الابن الثاني للرئيس العراقي صدام حسين كان يقود قوات الحرس الجمهوري وقوات النخبة لنظام البعث، تسلم قصي مراكز حساسة في قلب النظام العراقي، وبحكم تسلمه هذه المسؤوليات كان يشارك في أهم الاجتماعات السياسية والعسكرية المصيرية برئاسة والده صدام ويأتي قصي في المرتبة الثانية على لائحة المطلوبين العراقيين الخمس وخمسين (55) التي

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص69.

[2] المصدر نفسه، ص86.

[3] المصدر نفسه، ص61.

وضعتها القوات الأمريكية، حيث نجد الروائية لم تتحدث عن قصي بعمق، ولم تغص في تفاصيله بل اكتفت بذكر اسمه وكيفية التعرف على جثته بعد اغتياله في قولها: «إذا كان الأمريكيون قد تعرفوا إلى قصي من سجل أسنانه»[1]، لكن هذا لا يمنعنا من القول إن قصي يمثل الأنا العربي العراقي.

3-الأنا الذاتية وتشكل الهوية:

برزت الأنا الذاتية في هذه الرواية من خلال ما سردته لنا المبدعة عن نفسها باعتبارها مثلث الأنا الفردي، فقد تجلت أناها فيما يلي:

الأنا المتألمة والمتحسرة من الواقع تعبر هنا الروائية عن حالة من الألم والحزن الذي اعتراها نتيجة إعدام الرئيس العراقي صدام حسين وشنقه حتى الموت «اعتلى منصة الإعدام صباح عيد كإنسان لا يملك سوى الشهادة لمواجهة الموت، فقد كان هو الموت»[2]، وقد برز تألمها وتحسرها جليا على موت صدام حسين وقد اعترفت الروائية أنها بكت يوم شنقه، وبالتأكيد هذا يدل على مدى تأثرها الكبير بموته «أعترف أنني بكيت صدام، بكيته مشنوقا وقد كان شانقا، بميته إنسانا، بكيته عربيا، بكيته مسلما»[3].

وفي موطن آخر في هذه الرواية نجد الروائية متألمة أشد الألم لما آلت إليه بغداد من سطو ونهب لمتاحفها وتشويه لما فيها، وحزن شديد لما خلفته هذه الوحوش من خراب ودمار في بلد كان آمنا مستقرا، تقول في الروائية في ذلك: «وأنا أشاهد ذلك الرهط الغريب من الرعاع واللصوص وهم يهجمون على متحف بغداد فيستبيحون ذاكرة الإنسانية ويعيثون فيها خرابا ويدمرون كل ما لم تستطع أيديهم نهبه»[4]، ونلمس أيضا الأنا المتألمة والمتحسرة عندما وظفت الروائية مقطعا من مسرحية لتبين لنا فيه أن الوطن إذا ذهب لن يأتي وطن غيره أبدا، وهذا

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص93.

[3] المصدر نفسه، ص97.

[4] المصدر نفسه، ص53.

هو حال العراق، تقول: «مأساتنا الآن تختصرها تلك العبارة التي ينهي بها منصور الرحباني مسرحيته "ملوك الطوائف" قائلا: إذا ملك راح بيجي ملك غيره ... وإذا الوطن راح ما في وطن غيره»[1]، وعلى خلاف الألم والتحسر والحزن تجاه العراق نجد الروائية الآن تعبر عن ألمها الشديد تجاه الحرب الأهلية التي عاشتها لبنان في فترة زمنية معينة، فقد كانت حرب بين أبناء البلد الواحد والدم الواحد، تقول في ذلك: «ها أنا من جديد شاهدة في لبنان على حرب الدم الواحد، الأحزاب التي تشترى وتباع في مؤتمرات التسوية الإقليمية»[2].

أما الأنا بين الأزمة والصراع عبرت الروائية هنا عن الأزمة النفسية التي عاشتها والصراع الداخلي، والمشاعر المتوترة والمختلطة، إذ نجدها تفصح عن ذلك قائلة: «كانت صدمته بقدر فرحتي حين اكتشفت حال وصوله، حرمانه من الجزيرة بسبب العاصفة /.../ حيث اختفت لحسن حظي الفضائيات العربية»[3]، إضافة إلى هذا نجد أن الأنا القومية كانت لها ملامح بارزة في الرواية فقد أظهرت أحلام مستغانمي انتماءها القومي للعرب في قولها: «والله ما اقتحم الغزاة بيتا في العراق إلا وكنت من ساكنيه ولا أغاروا على مسجد إلا وكنت من المصلين فيه، ولا عثروا على الجثث إلا وكانت جثتي بينها، وما تركوا جريحا ينزف إلا وغطت دمائي على دمه، وما أطلقوا النار على أحد إلا وكنت هناك لأغمض عينه»[4]، وقد تجسد أيضا هذا الانتماء القومي للكاتبة كونها تعتبر نفسها واحدة من أقرباء صدام حسين وبمعنى آخر تريد القول: إن هناك صلة بينها وبينه حتى إنها تتمنى أن تزور قبره في يوم من الأيام، تقول في ذلك: «أشعر أن لي قرابة بهذا الرجل، وأنه لو قدر لي أن أزور العراق عندما يتحرر من محتليه سأزور قبره»[5].

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص57.

[2] المصدر نفسه، ص235.

[3] المصدر نفسه، ص101.

[4] المصدر نفسه، ص109.

[5] المصدر نفسه، ص97.

وقد أظهرت الروائية انتماءها القومي وتضامنها مع الدول العربية بشكل عام من خلال تصريح لها تقول فيه: «أنا مع الملايين العربية»[1]، وفي موطن آخر نجد الروائية تعبر لنا عن مدى خوفها الكبير على العراق واصفة في ذلك حالة الخوف والذعر الشخصي على العراق «أخاف شخصيا على العراق، مادام أمانة في عنق الدروع البشرية التي وصفها البيت الأبيض بـ "فراشات الليل الغبية"»[2].

أما بالنسبة للأنا المتعالية فقد استخدمت الروائية السرد بضمير المتكلم أنا، فاعتبرته وسيلة من وسائل التوغل في أعماق النفس، ليكشف هذا الضمير عن أحاسيسها وأسرارها، جاء الأنا الفردي بصورة أخرى وهي الأنا المتعالية والتي نلمس حضورها في قول الروائية: «أنا لست من يتامى صدام، ولا عهد لي بعراق كان يحكمه بنياشيته، وصولجانه وتماثيله وبمسدسه الذهبي وسجارة الكوبي»[3]. وقد عبرت أيضا عن أناها المتعالية في موطن آخر وذلك من خلال الدعوات الكثيرة التي تلقتها لزيارة أمريكا بالرغم من أنها معادية لهذه الأخيرة إلا أنها كغيرها من الدول الأوروبية تعمل على مطاردة الأدمغة والمثقفين في الدول العربية، فعن نفسها تقول أحلام مستغانمي: «وأنا أطلب تأشيرة لزيارة أمريكا لتلبية دعوتكم هذه ودعوة من جامعة ميتشيغن وأخرى من جامعة يال»[4].

إن لضمائر السرد دور هام في منح العمل الروائي مزيدا من الجاذبية، فالسارد عندما يتحدث بضمير المتكلم فهو يعبر عن أناه، وهذا النوع من السرد يتيح للقارئ أن يتوغل في العمل الروائي أكثر وهو ما سنأتي على توضيحه من خلال دراستنا لرواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا"؛ إذ نجدها تفصح قائلة: «أنا أطالب بمناسبة وجودي في بلاد على حدود إسرائيل بحقي في الصلاة في الأقصى والموت على عتباته ما دام من حق الإسرائيليين الدخول صباحا إلى

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص235.

[2] المصدر نفسه، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص104.

[4] المصدر نفسه، ص147.

بلادنا»[1]، وهنا تصرح بضمير المتكلم "أنا" وتطالب بأن تصلي في الأقصى، وإن لها الحق في الموت على عتباته.

يتبدى لنا الأنا المتكلم المضمر من خلال قولها: «فما تناولت "وجبة الأخبار" إلا وأصابتني كآبة، ولازمني شعور متزايد بكارثة ما»[2]، رغم أن الأنا غير ظاهرة إلا أننا نفهمها من خلال سياق الكلام، على أن أحلام كلما تابعت نشرة الأخبار تصيبها كآبة، ويلازمها شعور بوقوع كارثة ما.

إضافة إلى هذا نجد أن الرواية رسمت جملة من الأحداث التي تلجأ فيها الروائية إلى اعتماد ضمير المخاطِب "أنت"، فنلمس ذلك في محطات عديدة من الرواية تقول: «فأنت تتناول فطورك على مشهد مدريد الغارقة في دمها في مجزرة القطارات الصباحية»[3]، عمدت الكاتبة إلى التصريح بضمير المخاطب "أنت" بصورة جلية.

ثالثا: حضور الآخر والتشكيل السردي:

الآخر هو الأجنبي الذي لديه خصوصيات تميزه عن غيره، وتعد صورة الآخر من القضايا التي تناولتها الدراسات الأدبية المقارنة، ذلك أنها عنصر فعال تكشف المواقف المتباينة مع الأنا، فرواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" قد بينت ملامح الأنا بكل تجلياتها وأوصافها، كما أنها لم تتوان في إظهار الآخر بصوره المختلفة، حيث يظهر بملامح وصفات عدة، جسدتها عامة "الآخر أمريكا" حيث صورت لنا أحلام مستغانمي في روايتها صورة العدو القاتل المجرم القاسي والمستعمر في حق "الأنا العراقي"، فنلمس ذلك في عدة مقاطع في الرواية بينت لنا شدة ظلم وقساوة ووحشية هذا الأمريكي المستعمر، برزت شخصية "جورج بوش" الأب بصورة الآخر الظالم والطاغي الذي حاول بشتى الطرق والوسائل محاربة شعب العراق بالشتم والشب "اللسان" أو بالسلاح "القنابل والصواريخ". قد تمظهرت صورة الآخر الأمريكي في المتن الروائي

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص190.

[2] المصدر نفسه، ص102.

[3] المصدر نفسه، ص102.

بالفظاعة والشراسة، هذا الظالم عديم القلب الفاقد للإنسانية والرحمة، متوحش متعطش للدماء كما نجد شخصية بوش الابن الذي بطبيعته أيضا يحمل مشاعر الحقد والكراهية للأنا العراقي.

1-الآخر والهوية المكانية:

أمريكا:

الولايات المتحدة الأمريكية هي جمهورية اتحادية دستورية تقع وسط أمريكا الشمالية، تعد رابع دولة في العالم من حيث المساحة، تمتلك هيمنة ونفوذا في كل المجالات وهو ما يؤهلها لاحتلال الصدارة في العالم، وبالرغم مما تمتلكه أمريكا إلا أنها تسعى دائما لاحتلال الدول الضعيفة لنهب واستنزاف ما لديهم، وذلك لأسباب وذرائع وهمية تزعمها أمريكا. وفيما مضى امتصت أمريكا من أفغانستان كل ما لديها من ثروات، وبدأت تفكر في البديل لتحبه كما أحبت أفغانستان وترسل له قبلها كما ورد في قول الروائية: «ما كادت أمريكا تشفى من ولعها بأفغانستان، حتى بدت عليها أعراض عشق جديد، فقد قررت أن تعلن الحب على العراق الذي سبق لها في زمن بعيد أن حرضته على حروبه الظالمة، وأغمضت عينيها على جرائم قائده، وسدت آذانها عن صراخ مليونين من قتلاه وأربعة ملايين من مشرديه ومن منفييه، ذلك أن الحب أعمى وأصم»[1].

أمريكا تملك كما هائلا من التطور التكنولوجي والإعلامي، فهي تعد الأقوى عالميا، حيث تتجاوزنا ببضعة قرون ضوئية، لديها إنجازات خرافية، وأقوى الشركات العملاقة المتعددة الجنسية التي تجعل منا عاجزين أمامها، منبهرين بما لديها من تطور على جميع الأصعدة «يخطي من يعتقد أنك إن أردت إسقاط أمريكا، فعليك بشتمها والتشهير بعيوبها، فهذا لا يجدي ليس فقط لأنها تملك القنوات الإعلامية التي تتحكم في العالم /.../ بل لأن لأمريكا إنجازات في التكنولوجيا العلوم في الديمقراطية والحريات تجعلها تتقدم على العالم وعلينا نحن بالذات

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص129.

ببضعة قرون ضوئية»[1]. هذا هو الآخر الذي يمتلك قوة تكنولوجية تدمر العالم، ولديه من القنابل والقذائف ما تبيد به بلدا بأكمله.

هذا التطور الذي شهدته أمريكا ليس من صنع أبنائها، بل هو نتاج الأدمغة المهاجرة التي كانت تعيش التهميش والضياع وعدم الاهتمام في أوطانها فكانت أمريكا بالنسبة لهم المعجزة، فتحت لهم الأحضان لتستغل كل خبراتهم في شتى المجالات «وهل هؤلاء اللقطاء الأجناس الذي جاؤوا على ظهر البواخر من كل أنحاء العالم دون متاع ودون شعارات، ولكن بإصرار على النجاح والتفوق، هم الذين صنعوا معجزة أمريكا، بحبهم وولائهم لها، بينما على فائض عواطفنا، وكثرة أناشيدنا وأشعارنا، وعراقة جذورنا، أخفقنا نحن في حب أوطاننا»[2].

حققت أمريكا من الإنجازات ما لا تستطيع أي دولة في العالم أن تصل إليه، فهي سعت دائما خلف طمعها وجشعها، اجتهدت في وضع ذرائع وأسباب غزو العراق، حيث نجدها قدمت حججا دامغة لتدافع بها عن نفسها أمام الملأ، فقد ألحقت أمريكا بالعراق كل أنواع الدمار والخراب «أمريكا التي اجتهدت طويلا في البحث عن ذريعة مشرفة تدخل بها العراق، تتيح لها نهبه بمباركة دولية، تبحث الآن عن ذريعة لائقة للخروج منه، بهزيمة أقل تكلفة، في أقرب وقت ممكن، لكم الخروج من الحمام ليس سهلا كدخوله، خاصة إذا كان حمام دم ووحل وخراب أثناء بحثها عن أسلحة الدمار الشامل، وألحقت أمريكا بموطن كان أكثر أمنا مما هو عليه الآن كل أنواع الدمار الممكنة.»[3]

البيت الأبيض:

من أكثر الأماكن شهرة في العالم وهو المقر الرئيسي ومكان عمل وإقامة كل رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، والذي يدير منه هو ومعاونيه كل شؤون الولايات المتحدة الرسمية وغالبا ما يستخدم مصطلح البيت الأبيض إشارة للرئيس ومستشاريه، فالبيت الأبيض كان يشغله "بيل كلينتون" قبل أن ينتقل إليه "بوش" «بيل كلينتون سينام لآخر مرة كرئيس في البيت

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص157.

[2] المصدر نفسه، ص157.

[3] المصدر نفسه، ص177.

الأبيض في 19 كانون الثاني /.../ فقد كانت تلك الكلبة الأم آخر من شغل تلك الغرفة بمواصفات إنسانية»[1]، كان بوش وزوجته يمتلكان كلبة تعيش معهما في البيت الأبيض، وهذا ما ذكر في قول الروائية: «فسأختار الكلبة بوش تلك التي أثناء إقامتها في البيت الأبيض وبصفتها الكلبة الأولى»[2]، كان البيت الأبيض بمثابة مكان إقامة الآخر الغربي "الرئيس ومستشاريه" في هذه الرواية.

الغرفة:

تحدثت الكاتبة في الرواية عن غرفة محددة في البيت الأبيض ألا وهي غرفة بوش الأب، هذه الغرفة كانت تحت اسمه، لكن في المقابل هي ملك للكلبة الأم وأولادها، فالأم بوش نجدها قد قامت بطرد الرئيس من غرفة نومه هذه لتمنحها إلى الكلبة الأم لتقيم فيها وتعنتي بأولادها تقول مستغانمي: «في هذه الصفحة أهنئ الكلبة الأولى على استعادة عافيتها وخاصة على اختيارها غرفة نوم الرئيس لوضع أولادها»[3].

2-الآخر والشخصيات:

شخصية جورج بوش الأب:

جورج بوش هو أحد السياسيين الأمريكيين، يعرف باسم جورج هـ. و. بوش، أو بوش الأكبر أو بوش H1 أو جورج الأب، وذلك تمييزا له عن ابنه الأكبر هو الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية، كان من أبرز الزعماء السياسيين الذين كانت السيطرة الهيمنة ميزتهم الأساسية في الحكم، إضافة إلى هذا كان حاكما ظالما لا يميل إليه أحد، ولم تكن له أي مشاعر ودية، تقول عنه مستغانمي: «لا تسألوني لماذا لا أحب بوش الأب، لا بوش لابن ولا الأم، وإذا كان لابد لي أن أختار واحدا من آل بوش فسأختار الكلبة بوش، تلك

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص14.

[2] المصدر نفسه، ص13.

[3] المصدر نفسه، ص30.

التي أثناء إقامتها في البيت الأبيض وبصفتها الكلبة الأولى اختارت أن تضع مواليدها في غرفة نوم الرئيس»[1].

أما عن يوم جورج بوش فهو لا يبدأ إلا بصلواته الخاصة، فقد كان يرى في نفسه الحاكم العادل وأنه رب للعدالة المطلقة، وهذا ما نجده في قول الروائية: «وكانت معجزة القديس بوش الذي يحتفظ بنسخة من التوراة في مكتبه، ويبدأ يومه بالصلاة والدعاء حتى توصله ابتهالاته أحيانا للبكاء، إنه أثبت لنا أن الذئب في إمكانه أن يكون راعيا ويبعث بتعففه رئيسا للمزارع الكونية المتحدة ورحمة للعالمين وربا للعدالة المطلقة»[2].

شخصية جورج بوش الابن:

جورج دبليو بوش الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية وهو ابن الرئيس جورج بوش الأب، قاد بلاده خلال فترة رئاسته للتحالف الدولي ضد العراق عقب غزو الكويت مثلما كان الاحتلال الأمريكي للعراق محيرا لضعف حجته خاصة بعد فشل ثبوت وجود أسلحة نووية، فإن العملية ذاتها اتخذت العديد من الأسماء التي أطلقت عليها مثل: الغزو الأمريكي للعراق، حرب الخليج الثالثة، حرب العراق، احتلال العراق، حرب تحرير العراق، معركة أو حرب الحواسم كما أشارت إليها أحلام مستغانمي في الرواية «أنستنا "حرب الحواسم" رزنامة السنة تسلسل المواسم وها نحن نستيقظ من ذهولنا لنكتشف أن أعيادا مضت، وفصولا مرت ونحن في غيبوبتنا تلك محجوزين منذ أشهر أمام التلفزيون، منذ غدت الحرب "حالة مشهدية" تسبقها المظاهرات والمؤتمرات، والشتائم والاتهامات والمسبات، وترافق أنفاسنا عيون الكاميرات التي حولتنا إلى مواطنين صالحين في جمهورية الفضائيات»[3].

وبالحديث عن بوش الابن لا يمكننا أن ننسى الإشارة للحادثة الشهيرة التي وقعت في إحدى المؤتمرات الصحفية في العراق عندما رمى الصحفي الرئيسَ الأمريكي بوش بالحذاء أمام أعين الكاميرا والصحفيين «حين وقف بوش في ذلك المؤتمر الصحافي ليتقبل التهاني

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص23.

[3] المصدر نفسه، ص57، 58.

على جرائمه، ويسرد انتصاراته في العراق لم يقل له أحد من حراسه "انتبه سيدي الرئيس ثمة فردتا حذاء تبحثن عنك!/.../ صحيح أن ذلك الحذاء الطاهر لم يصب وجه بوش، لكنه أصاب واجهته كنبي مبعوث رحمة للعالمين ووجاهته كرئيس لأقوى دولة في العالم كانت ضربة إلى مستوى اللغة التي يتكلم بها جيشه مع العراقيين في الشوارع أثناء مداهمته بيوتهم، أو الرمي بهم في المعتقلات التي دخلت التاريخ بسادية وحوشها الجلادين، عندما توجه إليه الصحافي صارخا هذه قبلة وداع من العراقيين يا كلب إما كان يتحدث عن الكلاب نفسها التي يتباهى بوش برفقتها»[1].

كان بوش يعتقد بهذه الحرب والمجزرة أنه سيهيئ السلام والحرية، العدل والمساواة في العراق، وأن هناك حياة أجمل تنتظرهم، حيث نجد الروائية تقول: «حياة أجمل تنتظر العراقيين نحن هنا جئنا بالحرب لنهيئ السلام، وهي نكتة زاد من سخريتها السوداء تصريح بوش، رئيس معسكر الخير، ونائب السيد المسيح على الأرض، حيث بشر سكان الكرة الأرضية بلهجة تهديدية قائلا وهو واثق الخطوة يمشي ملكا: نحن من نقود العالم إلى مصير أفضل»[2]، حيث إن جورج بوش خرج من هذه الحرب ولم يخسر أي عزيز أو قريب سوى القطة أنديا هذا خلال ما ذكرته الروائية في قولها: «يغادر بوش البيت الأبيض ولم يخسر من عزيز خلال ثماني سنوات سوى القطة أنديا بينما خسر العراقيون خلال عهدته مليون قتيل»[3]، من خلال هذه الحرب نجد أن العراق قد خسر كثيرا من الأرواح البريئة، لذلك فإن الروائية أحلام مستغانمي لم تسخر من أمريكا فقط بل سخرت أيضا من رئيسهم جورج بوش بطريقة لاذعة على أنه الرجل الذي لا يخون، صاحب الأخلاق الفاضلة والنبيلة وموطن الأمانة والكفيل بإرجاعها كما هي. كل هذه الصفات التي ذكرتها الروائية كانت عكس الواقع، بل تريد بها السخرية والتهكم والاستهزاء من بوش «إنه رجل فاضل ما عرفنا له مغامرات، ولا خيانات، وما سمعناه يتغزل إلا بالديمقراطية وحاملات الطائرات»[4]، جورج بوش الابن نجده في هذه الرواية مثل الآخر

---

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص26، 27.

[2] المصدر نفسه، ص31.

[3] المصدر نفسه، ص67.

[4] المصدر نفسه، ص24.

الأمريكي العدو الأجنبي المستعمر الذي كان سببا في غزو العراق، وقصفهم بالقنابل الموسومة بالقبل للإغراء حسب ظنه، هذا العدو الظالم الذي كان السبب الرئيسي في دمار بلاد بأكملها وتشتيت شعبها وضياعهم، هكذا جسدت مستغانمي الآخر الغربي "الآخر الأمريكي" في أقرب صورة له.

3-تمثيلات هوية الآخر:

طرحت رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" ملامح الهوية، والتي جعلت من الآخر يكشف عن صورته التي تمظهرت عبر أفكارها ومشاعرها، هذا ما سنطرحه في العنصر المعنون بـ "تمثيلات هوية الآخر"، حيث سنطرح أبعاد الهوية من خلال: الهوية الدينية، الهوية الثقافية.

قبل الحديث عن تمثيلات الهوية الدينية في رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" لابد من الإشارة إلى أن الدين يعد من أهم العناصر التي تشكل ثقافة المجتمعات، توحد قلوب الأفراد فيها وأنماط تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم، فهو أبرز مقومات هذا الآخر فتكمن أهميته في أنه يخاطب عقول الناس وقلوبهم.

تطرح أحلام مستغانمي في الرواية قضية الهوية الدينية التي تتعلق بشخصية الآخر التي تقوم عليه الرواية "بوش الأب"، حيث تبدو لنا هذه الشخصية متأصلة بديانتها ومتمسكة بها جدا، فالآخر استطاع أن يتشبث بأحد مقومات هويته وهو الديانة التي ينتمي إليها، وأثبت تمسكه بهويته الدينية هذه، ممارسته بشكل دائم لشعائره الدينية المتشبع بها، حيث يظهر ذلك من خلال ترديده كل يوم لطقوسه الدينية ويبرز هذا جليا في قول الروائية أحلام مستغانمي: «وكانت معجزة القديس بوش، الذي يحتفظ بنسخة من التوراة في مكتبه، ويبدأ يومه بالصلاة والدعاء، حتى توصله ابتهالاته أحيانا للبكاء»[1]، وبهذا يمكن القول: إن الآخر في الرواية "بوش الأب" حقق ولاءه وانتماءه لديانته وأظهر تقمصه لهويته الدينية.

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص23.

أضحى موضوع الهوية الثقافية أحد أهم مقومات الآخر، فهي مرتبطة بإشكالية تحديد الانتماء، وتعد المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت، ومهامه وقدراته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما ينبغي أن يأمل وهذا ما سنحاول البحث عنه في الرواية التي نحن بصدد دراستها وهي "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" لأحلام مستغانمي وذلك باستخراج أبعاد الهوية الثقافية، فعند قراءتنا للرواية نعالج قضية الهوية الثقافية من خلال أن هذا الآخر يتمثل في أمريكا التب كانت تقدس العلم كثيرا وتوليه أهمية قصوى، فالعلماء والباحثون عندها ذوو مكانة مرموقة ومميزة، إنهم النخبة في جميع الطبقات، وقد تعرضت الروائية لهذا في قولها: «حتى ذلك الحين، كنت أعتقد أن قوة أمريكا تكمن في هيمنة التكنولوجيا الأكثر تطورا، والأسلحة الأكثر فتكا، والبضائع الأكثر انتشارا لكنني اكتشفت أن كل هذه القوة تستند بدءًا على البحث العلمي وتقديس المؤسسات الأكاديمية واحترام المبدعين والباحثين والأساتذة الجامعيين»[1]، فأمريكا كانت بمثابة الملاذ والمفر لكل العلماء والباحثين الذين لاقوا تهميشا في بلدانهم، دعتهم وقدمت لهم كل الفرص ورسمت من خلالهم هوية ثقافية بكل خطوطها طولا وعرضا توضح أحلام مستغانمي هذا في قولها: «بينما يجد في الغرب وفي أمريكا التي يختلف عنها في اللغة وفي الدين وفي المشاعر القومية ملاذا يحتضن حريته، ومؤسسات تدعم عبقريته وموهبته»[2]، هكذا تمكنت الكاتبة من تجسيد الهوية الثقافية عبر بعض صفحات الرواية.

[1] أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، ص145.

[2] المصدر نفسه، ص148.

خاتمة

تعد إشكالية الأنا والآخر من الإشكاليات المتشعبة التي لقيت اهتماما واسعا في العديد من الدراسات المختلفة، وقد درسنا في هذا البحث تشكلات الأنا والآخر في رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" لأحلام مستغانمي، وختاما بعد رحلة شيقة مع موضوع هذا البحث نصل إلى رصد أهم النتائج التي أفضت إليها هذه الرحلة:

– تعتبر ثنائية الأنا والآخر من أهم المفاهيم الشائكة التي شغلت حيزا لا بأس به لدى الباحثين والمفكرين، فتعددت الآراء والأفكار لتحديد مفهوم واحد للأنا والآخر.

– إن علاقة الأنا والآخر هي علاقة جدلية حيث يستدعي كل طرف وجود طرف ثان نتيجة التناقض الحاصل بينهما.

– تتحكم في الأنا والآخر جملة مقومات تتمثل في الهوية والغيرية والدين والعادات والتقاليد.

– ظل سؤال العلاقة الذي يجمع بين الأنا والآخر مطروحا فتنوعت العلاقة بين صراع وصدام حينا، وتجاذب وانبهار حينا آخر، ولكنها رغم هذا تظل علاقة تلازمية، فهما وجهان لعملة واحدة.

– استطاعت الرواية إخراج الأنا والآخر من قالبهما النظري إلى الوجود الفعلي من خلال نسيجها وشخصياتها وأحداثها.

– ثنائية الأنا العربي والآخر الغربي هي المركز الأساس التي تقوم عليه مختلف فصول الرواية.

– جسدت رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" الأنا عامة بالذات العراقية والآخر الغربي بالغير أمريكا في ظل الصراع الذي صورته والمتعلق بالحرب العراقية نهاية القرن العشرين.

– صورت الروائية الأنا المضطهدة المظلومة التي تعرضت للاستعمار وشتى أنواع الدمار والخراب.

– جاءت صورة الآخر الأمريكي في هذه الرواية بصفته عدوا وأجنبيا ظالما ومنافقا ومستعمرا في أغلب جزيئاتها.

– أرادت أحلام مستغانمي أن تتحدث عن حال الوطن العربي كله مستخدمة العراق بوصفه صورة مصغرة لواقع أليم يعيشه هذا الوطن.

مـــلحق

التعريف بالروائية:

ولدت أحلام مستغانمي في 13 أفريل 1953م، كاتبة جزائرية من مواليد تونس ترجع أصولها إلى مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري حيث ولد أبوها "محمد الشريف"، وكان مشاركا في الثورة التحريرية، دخل السجن بسبب مشاركته في مظاهرات 8 ماي 1945م، وبعد أن أطلق سراحه سنة 1947م كان قد فقد عمله بالبلدية ومع ذلك فإنه يعتبر محظوظا إذ لم يلق حتفه مع من مات أنذاك.

عملت أحلام مستغانمي في الإذاعة الوطنية مما خلق لها الشهرة كشاعرة، انتقلت إلى فرنسا في تسعينات القرن الماضي، حيث تزوجت من صحفي لبناني، وفي الثمانينيات نال شهادة الدكتوراه من جامعة السربون، تقطن حاليا في بيروت، وهي حائزة على جائزة نجيب محفوظ لعام 1998م عن روايتها ذاكرة الجسد.

تخفي الكاتبة أحلام مستغانمي خلف روايتها أبا لطالما طبع خباياها بشخصيته الفذة وتاريخه النضالي، لن نذهب إلى القول إنها أخذت عنه محاور روايتها اقتباسا ولكن ما لا شك فيه أن مسيرة حياته التي تحكي تاريخ الجزائر وجدت صدى واسعا عبر مؤلفاتها.

ملخص الرواية:

تدور أحداث رواية "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" حول أحداث الحرب والسياسة في العراق منذ عام 2006م، حيث كانت أحلام تكتب مقالات في مجلة زهرة الخليج، وبعد أعوام طويلة قامت بجمع مقالاتها التي نشرتها في أوقات مختلفة وأعادت ترتيبها وفقا لتواريخ كتابتها ونشرها وجمعتها في كتاب "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا".

وصفت لنا الكاتبة ما لقيه هذا البلد من تدمير وتنكيل بأهله وما نتج عن الحرب من توترات سياسية في المنطقة العربية وما عاشه الوطن العربي من آلام كل ذلك بأسلوب ساخر ومحزن متميز بالدقة والإمتاع.

افتتحت الكاتبة روايتها بإهداء حزين يعبر عن واقع الحال كمقدمة للكتاب في بضعة أسطر، وجاء هذا الكتاب مقسما إلى أربعة أبواب، كل باب يحمل عنوانا خاصا يكون إيحاءً لما سيأتي فيه من كلام، فالباب الأول جاء بعنوان "شوف بوش بقى واتعلم" وتحدثت فيه عن

قصة الصحفي العراقي الذي رمى الرئيس الأمريكي جورج بوش بالحذاء أمام أعين الكاميرات والصحفيين وعما واجهه بوش عند احتلال العراق. وكان الباب الثاني بعنوان "العراق هذا الكريم المهان" طرحت فيه تغير حال العراقيين بعد الحرب، وكيف أصبحوا مهانين، كما تضمن أيضا حديثا عن علماء العراق الذين انقلبت أحوالهم بسبب الحرب التي تعرضت لها البلاد. أما الباب الثالث والذي جاء بعنوان "خالتي أمريكا" حاولت خلاله الكاتبة أن توضح فكرة عنوان الكتاب "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" حيث شرحت طرق أمريكا الخبيثة وما فعلته في العراق وأهله وكيف دمرت وطنهم وسلبت حقوقهم. أما الباب الرابع والأخير "تصبحون على خير يا عرب" بينت فيه أن أكبر مؤامرة كان ضحيتها العالم العربي هو إفراغ كلمة مؤامرة من محتواها ودلالتها؛ إذ لم تعد تتطلب أن يكونوا على حذر وتنبيه لما يحاك في السر للإيقاع بالعرب بقدر ما صارت تثير التهكم والسخرية، لخصت هنا المؤامرة التي حدثت بسببها حرب العراق.

مؤلفاتها:

– على مرفأ الأيام عام 1973.

– كتابة في لحظة عري عام 1976م.

– ذاكرة الجسد عام 1973م، ذكرت ضمن أفضل مائة عربية، وفي عام 2000م تم تمثيلها في مسلسل رسمي سمي باسمها: ذاكرة الجسد للمخرج نجدة إسماعيل أنزول.

– فوضى الحواس عام 1997م.

– عابر سرير عام 2003م.

– نسيان. Com عام 2009م.

– قلوبهم معنا وقنابلهم علينا عام 2009م، أصدرت تزامنا مع نسيان. Com.

– الأسود يليق بك عام 2012م.

أهم جوائزها:

– جائزة نور، تمنح لأحسن إبداع إنساني باللغة العربية، مُنِحَت لها سنة 1996م من مؤسسة "نور" بالقاهرة.

– جائزة "نجيب محفوظ" للرواية، جائزة على مستوى المسابقة مُنِحَت لها من قبل الجامعة الأمريكية سنة 1998م، مما جعلها تترجم إلى لغات عالمية عديدة.

– حازت الروائية أيضا على جائزة "جورج تراباي" الذي يكرم كل سنة أفضل عمل أدبي كبير منشور في لبنان.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المصادر:

2. أحلام مستغانمي: قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط3، بيرت، لبنان، 2010.

المراجع:

الكتب باللغة العربية:

3. أحمد ياسين سليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطابعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، دمشق، (د، ت).

4. برهان غليون، وسمير أمين: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، ط1، دمشق، بيروت، 1420هـ، 1999م.

5. حسن حنفي: جدل "الأنا" و"الآخر": دراسة في تلخيص الإبرير للطهطاوي في كتاب صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

6. حسني محمود: الضفة الأخرى (دراسات في الثقافة والأدب والنقد)، دار وائل للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2008.

7. حسين عبيد الشهري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، بيروت، 2008.

8. حسين عويدات: الآخر في الثقافة العربية في ق 16 مطلع ق 20، دار الساقي، ط1، 2010.

9. رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط1، عمان، 2015.

10. سالم معوش: سورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 1998.

11. سعد فهد الذويخ: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

12. سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، دار الزمان، ط1، عمان، 2012.

13. صلاح صالح: سرد الآخر–الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، الدار البيضاء، 2003.

14. عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، سوريا، اللاذيقية، 2009.

15. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الخضرمي: المقدمة، دار الجيل، (د، ط)، لبنان، (د، س).

16. عبد الغني عبود: العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1980.

17. عبد الملك مرتاض: الإسلام والقضايا المعاصرة، دار هومة للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2009.

18. علي جعفر العلاق: الدلالة المرئية «قراءات في شعرية القصيدة الحديثة»، دار الشروق، ط1، عمان، 2002.

19. ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، (د، ط)، الكويت، 2013.

20. مأمون صالح: الشخصية (بناؤها، أنماطها، اضطراباتها)، دار أسامة، ط1، الأردن، عمان، 2008.

21. محفوظ محمد: الإسلام والغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، (د، ط)، الدار البيضاء، 1998.

22. محمد الخباز: صورة الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، بيروت، 2009.

23. محمد عابد الجابري: مسألة الهوية: العروبة والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، 1995.

24. محمد عبد الرؤوف عطية: تعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2009.

25. موسى معيرش: جدل الديني والسياسي في اليهودية والإسلام بين المقدس والمدنس، دار نهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، قسنطينة، 2010.

26. نادر كاظم: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، بيروت، 2004.

27. نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2013.

القواميس والمعاجم:

28. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية للعمالية للطباعة والنشر، (د، ط)، تونس، (د، س).

29. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، (د، ط)، تركيا، إسطنبول، (د، س).

30. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001.

31. أنطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط1، لبنان، بيروت، 2000.

32. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1982.

33. عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية، ط1، مصر، 1984.

34. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 2000.

35. لطيف زيتون: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار نهال للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2002.

36. محمد التوينجي: معجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1999.

37. محمد بوزواوي: قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، (د، ط)، (د، ب)، 2003.

38. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د، ط)، القاهرة، 1983.

39. المعلم بطرس البوستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، 1989.

40. ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، الدار البيضاء، 2002.

الكتب المترجمة:

41. Peter Cozem: البحث عن الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، (د، ط)، الإمارات العربية المتحدة، 2010.

42. بول ريكور: الذات عينها كأخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، لبنان، بيروت، 2005.

43. تيزفيتان تودوروف: مسألة الآخر فتح أمريكان، تر: بشير السباعي، دار سينا للنشر، (د، ط)، 1982.

44. جورج لارين: الإيديولوجيا والهوية الثقافية (الحداثة وحضور العالم الثالث)، تر: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2002.

45. دانييل، وهنري باجو، وجان مارك مورا: الصورة...الأنا، الآخر، تر: عبد النبي ذاكر، مطبعة بني أزناسن سلا، (د، ط)، المغرب، 2014.

الرسائل الجامعية:

46. حمزة وشان: صورة الآخر في أدب ألبير كامو وجون بول سارتر، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2014-2015.

47. روفية بوغنوط: شعرية النصوص الموازية في دواوين عبد الله حمادي، مذكرة ماجستير، جامعة أم البواقي، 1427-2006.

48. عالية زروقي: صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950 إلى 2010، رسالة دكتوراه في العلوم، إشراف: عبد القادر توزان، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2017.

49. عامر جميل الصرايرة: جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام (2001-2011)، رسالة دكتوراه، اللغة العربية، إشراف: محمد الشوابكة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 2013.

المقالات والمجالات:

50. باسمة دِرمش: "عتبات النص، مجلة علامات، نادي الأدب الثقافي، العدد 21، المجلد، 16، الجزء 61.جدة، ماي 2007،

51. حبيب بوهرور: العتبات وخطاب المتخيل في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الأثر، العدد 24، مارس 2016.

52. حفناوي بعلي: آفاق الأدب المقارن العالمية في تصور الناقد إدوارد سعيد، مجلة عالم الفكر، العدد 04، المجلد 35، أفريل 2007.

53. صالح بن عويد الحربي: دراسات صورة الآخر في الأدب العربي وأثر إدوارد سعيد دراسة مقارنة، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد 20، السنة السابعة، 1441.

54. العمارة لخوص: الأنا والآخر في الرواية الجزائرية، قراءة في نص كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، مجلة الأفاق العلمية، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، العدد 10، 2016.

55. عيسى الطهراوي، محمد مشعالة: صورة الآخر في الرواية الجزائرية الفرانكونية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية اللغة الأدب العربي، جامعة باتنة، العدد 17، ط1.

56. محمد عابد الجابري: (الغرب والإسلام)، مجلة العربي، الكويت، العدد 503، أكتوبر 2000.

الفـــهـــرس

المحتويات

مقدمة.....أ
الفصل الأول: محددات اصطلاحية ومفاهيم نظرية ("الأنا"-الآخر).....10
أولا: الأنا؛ بحث في المصطلح والمفهوم.....11
1-الأنا في اللغة:.....11
2-الأنا في علم الاجتماع:.....11
3-الأنا في علم النفس:.....12
4-الأنا في الفلسفة:.....13
5-الأنا من منظور الأدباء والنقاد:.....15
ثانيا: الآخر بحث في المصطلح والمفهوم.....17
1-الآخر في اللغة:.....17
2-الآخر في الاصطلاح:.....17
3-الآخر من منظور الأدباء والنقاد:.....19
ثالثا: مقومات الأنا والآخر.....21
1-الهوية:.....21
2-الغيرية:.....21
3-الدين:.....23
4-المجتمع (العادات والتقاليد):.....24
5-الاستشراق:.....25
رابعا: العلاقة بين الأنا والآخر:.....26
1-علاقة صراع وصدام:.....30

2-علاقة التجاذب والانبهار:.....30

الفصل الثاني: تشكلات الأنا والآخر في رواية قلوبهم معنا وقنابلهم علينا لأحـــلام مستغانمي.....32

أولا: الأنا والآخر والتشكيل العنواني.....33

1-الأنا والآخر والعنوان الرئيسي:.....33

أ-بنية العنوان:.....35

ب-دلالة العنوان:.....36

2-الأنا والآخر والعنونة الفرعية:.....37

ثانيا: حضور الأنا والتشكيل السردي:.....40

1-الأنا والهوية المكانية.....40

2-الأنا والشخصيات:.....43

3-الأنا الذاتية وتشكل الهوية:.....46

ثالثا: حضور الآخر والتشكيل السردي:.....49

1-الآخر والهوية المكانية:.....50

2-الآخر والشخصيات:.....52

3-تمثيلات هوية الآخر:.....55

خاتمة.....57

مـــلحق.....60

قائمة المصادر والمراجع.....64

الفـــهـرس.....71